من أحاديث الآداب

أحكام الجهاد وآدابه

التضحية في سبيل العقيدة (الجهاد)

الحمد لله الذي صدق وعده، وأشهد أن لا إله إلا الله أعز جنده، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا أنصار الله وجنده.

لقد أتاحت لي دراسة التاريخ أن اطَّلع على نماذج ومواقف من البطولات العربية والعالمية، فما وجدت أعظم ولا أخلد من مواقف الشجاعة التي قرأناها في سير أبطال الإسلام، وهذا أمر لا غرابة فيه؛ لأن العقيدة حين تشربها النفوس تنضح على كلِّ أفعالها وأقوالها ومواقفها، وعندئذٍ تكتسب كل هذه صبغة العقيدة وتنهل من معينها، وتصدر عن روحها وطبيعتها.

والعقيدة الإسلامية تربِّي المؤمن على عقيدة التوحيد، وتعلِّمه حبَّ الله ورسوله والمؤمنين، ثم هي تغرس فيها اعتقادًا راسخًا أن المؤمن مصنوع على عين الله مكتوب في حزبه، ومن ثم فحياته وعبادته وصحته ومواهبه لا بدَّ أن تجند لخدمة دين الله الذي هو دين الهدى والحق والعدل والإحسان ودين الكرم والتضحية وصنائع الخير.

إنَّ شجاعة المؤمن تنصهر في بوتقة عقيدته، فتخرج بإذن الله شجاعة من طراز رفيع فيها الإقدام الجارف الذي لا يعرف الخوف وفيها الشرف الرفيع وفيها الوفاء الذي لا يعرف العذر، ومن هنا رأينا تاريخ الإسلام دروسًا في كل خصائص العظمة الإنسانية يتتلمذ عليها كل من شاء أن يكون عظيمًا.

وإني مورد هنا قطرات من بحر تلك السيرة الماجدة العطرة أقدمها لشجعان الدنيا ليتعلموا منها كيف تتحول النفس الإنسانية طاقة جبارة لا تنهض لقوتها قوى البشر:

- جاء في كتب السيرة أن صبيان المؤمنين في المدنية كانوا يتسابقون إلى الجهاد، ويتمنى

كل منهم أن يرافق رسول الله ﷺ، فلما كان يوم أحد ردَّ النبي ﷺ سبعة من الصبيان رآهم صغار السن، فخشي عليهم ألا ينهضوا لسطوات الكبار الصناديد، وكان من بين أولئك الصبية «رافع بن خديج» و«سمرة بن جندب» -رضي الله عنهما، فتقدم رافع إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أنا صغيرٌ ولكني أجيد الرماية، وقلَّ أن أخطأ لي سهم، فامتحنه رسول الله ﷺ في الرماية، فرأى منه مهارة عجيبة، فأجازه إلى القتال، ففرح رافع ﷺ فرحةً كاد معها يطير، وهنا غار منه سمرة بن جندب ﷺ ورجع من المسجد حزينًا، واشتكى إلى زوج أمه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أجاز رافع بن خديج ليقاتل في أحد، وردني مع أني أصرع رافعًا، وقد تصارعنا مرات فصرعته، فلما كان اليوم التالي أخبر عمُّ سمرة بن جندب رسول الله ﷺ بشكوى سمرة، وأنه متألم لأنه حجب عن القتال في أحد، وأخر رافع بن خديج مع أنه يستطيع أن يصرع رافعًا. فدعا رسول الله ﷺ رافعًا وسمرة وأمرهما أن يتصارعا فلما تصارعا صرع سمرة بن جندب رافع بن خديج، فأجاز رسول الله ﷺ سمرة للقتال في أحد؛ حيث أبليا -رضي الله عنهما- بلاءً حسنًا، ألا ما أعظم أن تكون طموحات الشباب كطموحات سمرة بن جندب ورافع بن خديج، لا أن تكون في شريط أو سيارة ولهو حرام.

- أما الموقف الثاني من مواقف البطولات الخالدة، فقد وقفه صحابي اسمه «سماك بن خرشة»، ولقبه أبو دجانة وهو من بني ساعدة من الأنصار، وكان أيضًا في أحد، في ذلك الموقف قام رسول الله ﷺ وبيده سيف صارم فقال: «**من يأخذه هذا السيف بحقه؟**» قيل: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «**أن يقاتل به من يأخذه حتى ينثني**». قال أبو دجانة: أنا يا رسول الله، وتناول السيف ثم عقد على رأسه عصابة حمراء، وكانت عصابة مشهورة إذا لبسها أبو دجانة عرف الناس في وجهه الشر والقتال، واندفع كالصاعقة المدمرة، فما لقي أحدًا قِبله إلا قتله حتى لقد قال بعض من شهده: رأيت إنسانًا يخمش الناس خمشًا كأنه الوحش، قال أبو دجانة: ومضيت أثخن المشركين حتى اعترضني فارس ملثم، فسمعت منه صوت امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة، ثم رأيت على البعد فارسًا يقتل كل من يلقاه من المسلمين، حتى إذا تلاقينا تبادلنا ضربتين فخرَّ صريعًا، ثم رأيت مشركًا يقال له: عبد الله بن حميد بن زهير يصيح بأعلى صوته: دلوني على محمد لا نجوت إن نجا، فقلت له: بل أدلك على

نفسي، وكررت عليه كالصقر فعقرت فرسه، فلما طاح علوته بالسيف، وكم كان سروري حين رأيت رسول الله ﷺ ينظر إليَّ حين ضربته، وهو يقول: «**اللهم ارض عن ابن خرشة كما أنا عنه راضٍ**»، ولما رأى المشركين وقد أحاطوا برسول الله ﷺ يرشقونه بالنبال من كلِّ الجهات ترس نفسه دون رسول الله ﷺ كي لا تصيبه السهام، وكانت تقع عليه وهو لا يتحرك، مفدِّيًا رسول الله ﷺ بحياته، فنعم الفدائي ونعم المُفْتَدَى، ونعم البطولة حين تصدر عن منابع الإيمان الصافية.

- أما الموقف الثالث؛ فقد وقفه أبو قتادة الأنصاري ﷺ يوم أبلى أعظم البلاء في أحد، فأصابه سهم في إحدى عينيه، فلم يفقأها، ولكن العين خرجت على هيئة كرة معلقة بعرق قوي، وفكَّر ﷺ أن يقطع العرق حتى لا تحول بينه وبين القتال، ولكنه صبر ﷺ حتى وصل رسول الله ﷺ، وكانت معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام أن ردَّها إلى مكانها، ومسح عليها بريقه المبارك، ثم عصبها وربط فوقها فشفى الله أبا قتادة، وكانت عينه هذه المصابة بعدئذٍ لا ترمد، وبالمناسبة بعد خمس وتسعين عامًا من هذا الحادث تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، فجاءه زعماء القبائل بعضهم يهنئ وبعضهم يفاخر، وكان من بين الوفود أحد أبناء أبي قتادة الأنصاري ﷺ، فأنشد رحمه الله:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فرُدّت بكف المصطفى أحسن الرَّد
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حُسْنها عينا ويا حسن ما رد

فأقبل عمر بن عبد العزيز على ابن أبي قتادة وقال: لعمر الحق هذا هو الفخر، ولم يعبأ بما فاخر به زعماء القبائل حتى سمع اسم أبي قتادة، فتذكر تلك السيرة العطرة الحافلة، بصدق الإيمان والتضحية في سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١].

آداب الجهاد

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمه، وأشهد أن لا إله إلا الله، رفع بالمجاهدين رايته وأعلا كلمته، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله جعل الجهاد سنام أمره وذروته، اللهم صلِّ على محمد وأكرم بشفاعته أمته.

إنَّ أجَلَّ موقف في حياة المؤمن، وأسمى مقام يقومه هو موقفه وهو يقاتل أعداء الله ومقامه وهو يقدِّم روحه وحياته لله، وذلك لأن الجهاد سنام الإسلام وعموده، وهو ذخر العمر وخلوده، وفي هذه الديار مجال واسع لدروب التضحية وطرق الجهاد، فالجيش والحرس الوطني والأمن العام كلها ميادين للجهاد إذا صدق المواطن هجرته وأخلص نيته، ولأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود، فقد ربأ الله بالشهداء عن الموت؛ لأن الكريم ﷻ لا يرضيه أن يكافئ من بذل حياته لله بأن يميته، وإذن فليظل الشهيد حيًّا عند ربه يُرزق ويتمتع بالجنة، وساكنها لا يسمَّى ميتًا.

ومن أجل جلال الموقف وعظمة التضحية كان على المجاهد أن يتحلى في جهاده بآداب ينال بها الشهادة ويحقق ثواب التضحية:

أولاً: أن يكون خروجه للجهاد خالصًا مخلصًا لوجه الله، فلا يكون لرتبة ينالها أو مغانم يحققها أو دعاية يشتهر بها أو بطولة تنسب إليه وينسب إليها.

إنَّ الصحابي الذي قتل رستم في القادسية تملكه الفرح أول الأمر، فصاح: قتلت رستم وربّ الكعبة، ولكنه تذكر خلوص العبادة من الشرك فاختفى ولم يشعر به أحد، ومن الثابت في الحديث الصحيح أن الله ﷻ يُسعِّر النار بعالم ومتصدق وشهيد، فيقول للشهيد الذي نال اللقب في الدنيا: لقد قاتلت ليقال: شجاع، فقد قيل، ثم يأمر به فيلقى في النار.

وفي تفسير قوله تعالى في سورة «محمد»: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾، قال الأشياخ: إن معناها لا تضيعوا صالحات أعمالكم وحسناتكم بالتفاخر والرياء والسمعة، فتلك ماحقة للعمل.

وقرأنا في تاريخ الإسلام أن مَسلمةَ بن عبد الملك غزا غزوة غرب الأناضول، فحاصر

حصنًا شديد الحصانة، فهجم رماة الروم على المسلمين يرشقونهم بوابل من النبال حتى استشهد من جيش المسلمين عدد كبير، ولما استمر القتل في المسلمين رأى الجنود رجلاً من الجيش يهجم على ثغرة من ثغرات الحصن وبيده فأس ضخمة، فلم يزل يضرب بفأسه والنبال تتساقط من حوله، وهو لا يبالي حتى فتح ثغرة كبيرة وانطلق منها بفأسه وسلاحه كالصاعقة، واستحكم يقتل الكفار بالسيف وبالفأس وبالسهام حتى وصل باب الحصن وفتحه، وكان النصر والفتح على يدي ذلك الفدائي.

واختفى -رحمه الله- فلم يدر عنه أحد، وكان مسلمة -رحمه الله- قائدًا صالحًا متواضعًا يحب المجاهدين المحتسبين، فأرسل مناديًا ينادي: إن مسلمة يناشد الله صاحب النَّقب أن يقابله في خيمته، وبعد أن هدأت الأمور استيأس مسلمة من لقاء البطل جلس القائد وحوله أعوانه، وإذا رجل يستأذن للدخول عليه فأذن له، فقال: لا أستطيع خطابك إلا بيني وبينك، فخلا به القائد فقال الرجل: أنا أعرف صاحب النقب، ولكنه اشترط قبل أن أخبرك أن تعاهده على ثلاثة أمور: ألا تسأله عن اسمه، وألا تتعقبه لتعرف مكانه، وألا تخبر عنه أحدًا حتى لا ينقص ثوابه بثناء الناس، فعاهد مسلمة الرجل على كل ما طلب، فقال الرجل وكان ملثمًا: أنا صاحب النقب، وخرج في الحال فلم يستطع مسلمة أن يفعل شيئًا، لكنه كان إذا صلّى دعا الله أن يحشره مع صاحب النقب.

ثانيًا: أن يسلك الشهيد من اللحظة الأولى سلوك الخائف من ذنبه المتوكل على ربه، فيفتح مع الله ﷻ صفحة جديدة نظيفة من المعاصي وضيئة بالعزيمة الصادقة والجراءة الصامدة، يقول ربنا -جلَّ وعلا: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وعلى المجاهد أن يؤمن أن النصر من عند الله يورثه عباده الصالحين وخلصاءه المؤمنين، يقول الله -تعالى- في سورة «الروم»: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].

وكتب عمر ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ وهو بالقادسية ما معناه: «اعلم أن ذنوب الجيش أخطر عليهم من عدوهم؛ لأننا إنما ننتصر على العدو بذنوب عدونا ومعصيتهم لله، فإذا استوينا وإياهم في المعصية ظل لهم فضل القوة».

ثالثًا: ومن آداب المجاهد ألا يخاف الموت، وأن يعلم من قرارة يقينه أن الأجل في كتاب، وهو أجل محدد ومسمى إذا جاء لا يؤخَّر، وأن المجاهد في سبيل الله يرجو رحمة ربه ويدخل الجنة في لحظة استشهاده، ومن ثم فليس بينه وبين مرضاة الله ورضوانه وجنته إلا أن يقبل، فيستريح من مكابدة الحياة، وينعم بدار الخلود والبقاء، إنَّ هذا الإحساس هو الذي جعل آباءنا وسلفنا في معاركهم كأنهم صواعق الموت على رءوس الأعداء.

وكان العشرون الصابرون المحتسبون يغلبون مائتين، ولقد قرأنا في فتوحات الإسلام أن جيش خالد في اليرموك لم يزد في أي وقت على أربعين ألفًا، وأن الروم هاجموهم بمائة وعشرين ألفًا، لكن المؤمنين كانوا يعلمون أن النصر مع الصبر والإيمان والاحتساب، كانوا يفقهون مرامي قول ربهم: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فكانوا إذا رأوا كثرة الأعداء وشراستهم رددوا ما ذكره الله عن أسلافهم المجاهدين: ﴿**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٧]، وانظر في هذه الآية الكريمة تلك الدرجة العظيمة في مدارج السالكين، إنهم يقدمون أرواحهم لله ربهم وهم خائفون من ذنوبهم مستغفرون لإسرافهم في أمرهم عالمين أن الخطايا تجر الهزائم ما لم يغفرها ربنا تبارك وتعالى.

رابعًا: أن يلتزم المجاهد بالوصايا التي كان يوصيها رسول الله ﷺ للمجاهدين، فقد كان إذا ودَّعهم كما جاء في سنن أبي داود يقول: «**بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا** (أي: لا يختلس أحدكم أي حُطام كبيرًا كان أم صغيرًا)، **ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا شيخًا كبيرًا**»، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ نهى أن يلقى السم في بلاد العدو، وينطبق على هذا الأسلحة الكيماوية السَّامة.. هكذا فليكن قتال الشرفاء ومنهاج الحرب الشريفة الذي حطمه اليهود ببغضائهم والنصارى بتعصبهم.

روى البخاري أن النبي ﷺ ائتمن على بعض ثقله (أي: أمتعته) رجلاً يقال له: كركرة، فمات فقال عليه الصلاة والسلام: «**هو في النار**»، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها (أي: اختلسها).

خامسًا: أن يبعد من أهدافه أي عصبية أو انقياد أعمى، فلا يقاتل إلا تحت راية الجماعة

المنيرة بالوحدة والإيمان مبتعدًا عن شعارات التفرقة وهتافات الغوغائية، قال رسول الله ﷺ فيما رواه النسائي: «**من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتل فقتلةٌ جاهليةٌ**».

سادسًا: ألا يفر من الزحف مهما كانت الأسباب؛ لأن الفرار من الزحف من الكبائر، والفار من الزحف جبان لئيم فضل روحه على أرواح إخوانه، قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف**».

سابعًا: أن يتفقد ديونه فيوفيها قبل توجهه إلى القتال، ففي صحيح مسلم: «**يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين**».

أسأل الله لي وللإخوة القراء ولجميع المسلمين أن يحيينا بمعرفته ويكرمنا بالشهادة في سبيله.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨].

الجهاد والشهادة وأحكامهما

إنَّ ذروة الإسلام وقمة العمل الصالح الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة في مرضاته، ولعل سبب هذه المنزلة التي بوأها ربنا المجاهدين والشهداء أن تضحية المجاهد أشرف التضحيات وأجلها، فما أغلى على الإنسان من نفسه؟! وكيف لا ومن أجل الحفاظ عليها يكون كفاحه وحرصه وكدحه وادخاره ويقظته وسهره، وحين يحمل المرء هذه العزيزة الغالية على راحته فيرخصها في رضا ربه ويقدمها هدية متواضعة لخالقه ويبيعها لربه الكريم المتفضل ليشتري بها جنته، أقول: حين يفعل هذا يكون عند الله ﷻ أجدر الناس بالمكافأة الجزيلة والعطاء الجليل، فلا غرو إذا كافأ الله -جلَّ وعلا- الشهيد بحياة لا تموت أبدًا؛ لأن الجزاء

عند الله ﷻ يكون من جنس العمل، وما دام الشهيد قد قدَّم لله حياته فجزاؤه عند ربه حياة دائمة في جنة رضوانه؛ إذ تنتقل روحه ساعة مفارقتها جسمه إلى الجنة، ولا تمر بما تمر به الأرواح الأخرى من حياة البرزخ في القبر.

وهذه أحاديث شريفة حول الجهاد والشهادة وأحكامهما نوردها ثم نتبعها - إنْ شاء الله- بتفصيل لتلك الأحكام:

- روى مسلم -رحمه الله- من حديث سليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا وقي من فتنة القبر، ونما له عمله إلى يوم القيامة**».

- وروى أصحاب السُّنن عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قاتل في سبيل الله مقدار ما تحلب الناقة ناقة وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل في سبيل الله صادقًا من نفسه ثم مات أو قتل** (يعني في غير المعركة) **كان له أجر شهيد، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت، لونها لون الزعفران، وريحها ريح المسك، ومن خرج به خراج في سبيل الله** (أي: خرج مجاهدًا فلم يقتل)، **فإن عليه طابع الشهداء** (أي: يأخذ هيئة الشهيد وسمته وثكله ويجزى بجزائه يوم القيامة).

- وفي جامع الترمذي: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**».

- وفي الصحيحين والسُّنن: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفترق من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله**».

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**».

- وفي صحيح مسلم: «**لا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم**».

- وفي صحيح مسلم أيضًا: «**من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة**». وأخرى: «**يرفع بها الله العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء**

والأرض». قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» (ثلاثًا).

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**الجنة تحت ظلال السيوف**».

- وفي السير وسنن أبي داود أن رجلاً من الأنصار اسمه عمرو بن أقيش أجل إسلامه إلى أن يجمع ربا له كان على الناس، فجاء يوم أحد فسأل عن أبناء عمه وكثير من أصدقائه، فقالوا له: كلهم في أُحد. فلبس لامته (أي: درعه)، وركب فرسه وتوجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو (أي: أبعد عنا شرَّك)، فقاتل ﷺ حتى جرح جراحًا بليغة، فحمل إلى أهله، فجاءه سعد بن معاذ ﷺ وقال لأخته: سليه أحميةً لقومك أم غضبًا لهم أم غضبًا لله تعالى؟ قال: بل غضبًا لله تعالى ورسوله، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة.

- وفي الحديث المتفق عليه: «**من جهَّز غازيًا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**».

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]. جاء في سنن أبي داود وبمعناه في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ**» قَالَ: **فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾** إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

أولاً: الجهاد في سبيل الله أشرف الأعمال قاطبة دون استثناء، فلو أن مسلمًا مضى يجاهد في سبيل الله ومسلمًا آخر قام للعبادة لا يفتر وواصل الصيام لا يفطر لكان ثواب الأول أعظم من ثواب الثاني؛ لأن مقام الجهاد المخلص المحتسب يحمي به الله حرمات الإسلام وديار المسلمين وأعراضهم، والجهاد يصبح فرض عين إذا هوجم الإسلام أو انتهكت حرماته أو انتقصت أطرافه أو اعتدى عدو على أي قطر من أقطاره، ويكون فرض كفاية في حالة انقطاع

الأعداء عن الدسائس وجنوحهم إلى السَّلم.

ثانيًا: والمجاهد في سبيل الله يرجع بأجر عظيم سواء أقتل أم غلب وعاد غانمًا، قال تعالى في سورة «النساء»: ﴿**وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٧٤].

ثالثًا: لا تنتظر روح الشهيد في قبره لتجتاز مرحلة البرزخ، لكنها حالما تخرج تدخل الجنة تشرب من أنهارها وتأكل من ثمارها وتستقبلها الحور المطهرات، ولهذا لا يسمَّى الشهيد ميتًا؛ لأن الذي يعيش في الجنة هو الذي يتمتع بالحياة الحقيقية، ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقد وصف الله ﷻ دعوة الحاكم المسلم شعبه إلى القتال بأنها دعوة إلى الحياة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال: ٢٤]، نعم إنها في ظاهرها قتل وموت، لكنها في حقيقتها طريق العزة والكرامة والحياة الكريمة.

رابعًا: لو أن مسلمًا لم يصل لله ركعةٍ ولم يصم يومًا توجَّه في معركة إلى ساحة الجهاد على نية الجهاد في سبيل الله، فقتل في المعركة مقبلاً صابرًا محتسبًا؛ فإنه ينال منزلة الشهيد، ويكون جارًا لأبي بكر ﷺ مع النبيين والصديقين.

وقد يسأل سائل فيقول: كيف نال كل هذه الكرامة بعمل واحد؟! والجواب أن الله ﷻ يأمر الملكين ألا يقفلا كتاب عمل الشهيد، وألا يختما عليه كما يفعلان عند موت الإنسان، بل يظل الكتاب مفتوحًا، ويهدي ربنا الشهيد إلى عمل الصالحات بعد موته، ويلهمه من الأقوال والأفعال ما يعوض به عن أيام تقصيره، كما جاء في قصة عمرو بن أفيش يوم أُحد، فيكون الشهيد في مقعده بالجنة، لكن تراه عابدًا قانتًا ساجدًا راكعًا، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في سورة «محمد»: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾ [محمد: ٤- ٦].

إنَّ للشهيد عند ربنا كرامة لم يجعلها لغيره، ولا غرو فالجهاد أعظم درجات الكرم والتضحية والحرب لإحقاق الحق وأشرف طموحات الأبطال، ومن ثم فالعين التي تحرس في سبيل الله والجوف الذي يؤزُّ أنفاسه غبار الحرب لا تمسها النار؛ لأنها أكرم عند الله من أن يعذبا.

آداب الجهاد والحرب في الإسلام

الجهاد في سبيل الله من أعظم أوامر الشرع الإلهي حتى لقد وصفه رسول الله ﷺ بأنه ذروة الأمر وسنامه، أي أنه أعلى وأجل ما في أوامر الشرع الشريف.

هذه الحقيقة التقطها أعداء الإسلام ليرجفوا ويغالطوا ويفتروا وليزعموا أن شعار الإسلام هو القتل والحرب وسفك الدماء، وتناسوا أن الإسلام حين شرع الجهاد في سبيل الله شرع في الوقت نفسه آداب الحرب وأهمها أن يكون الجهاد مخلصًا لوجه الله وخاليًا من أطماع الدنيا الفاتنة الفانية وأغراضها الرخيصة، وأنه لا يكتب في سجل الشهداء الزاهر إلا من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

وهذه بعض أحاديث تدور حول آداب الحرب والجهاد في الإسلام نوردها ثم نتبعها - إنْ شاء الله- بنبذة عن أحكام وآداب التزمها المسلمون في الحروب بتوجيهات من نبيِّهم الكريم والخلفاء الراشدين المهديين:

- في الحديث المتفق عليه: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

- وفي صحيح مسلم -رحمه الله: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلاَلٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيءِ شَيءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ**

أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلاَ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ».

- وفي سنن أبي داود: «**انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلاً صغيرًا ولا امرأةً**».

- وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لرجل مشرك تبعه يوم بدر: «**ارجع فلن استعين بمشرك**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه فأنكر قتل النساء والصبيان.

- وروى أبو داود -رحمه الله- أن النبي ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف.

- وروى أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم**».

- وفي الصحيحين عن علي ﷺ قال: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم».

- وفي الصحيحين من حديث أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي ﷺ قال لها: «**قد أجرنا من أجرت**».

- وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ أخذها -يعني الجزية- من مجوس هجر.

- وروى الشافعي أن رسول الله ﷺ قال: «**سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب**».

- وفي سنن أبي داود أن أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرِ دُومَةَ فَأُخِذَ فَأَتَوْهُ بِهِ، فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ.

- وروى أصحاب السُّنن عن معاذِ بن جبل ﷺ أنه قال: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا أَوْ عِدْلَهُ مَعَافِرَ (الذي يمشي مع الرفاق لينال فضلهم)، وَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ بَقَرَةً مُسِنَّةً وَمِنْ كُلِّ ثَلاَثِينَ بَقَرَةً تَبِيعًا حَوْلِيًّا، وَأَمَرَنِي فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرَ وَمَا سُقِيَ بِالدَّوَالِي نِصْفَ الْعُشْرِ».

- وفي صحيح البخاري -رحمه الله- أن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا**».

وهذه بعض الأحكام المتعلقة بآداب الحرب مستقاةً من الأحاديث النبوية:

١- الإسلام دين حضاري رسم للجهاد والحرب هدفًا أسمى لا يجوز أن يخالطه غيره، وهو أن يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا.

٢- قبل البدء في الحرب والقتال على القائد المسلم أن يتصل بالأعداء فيدعوهم أول شيء إلى الإسلام، ويخبرهم أن من يعلن إسلامه ويشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فقد انضم إلى الأمة الإسلامية، وأحرز دمه وماله وعرضه وكل حقوق المسلم، فإذا أبوا إلا التمسك بدينهم، فعليهم أن يدفعوا جزية لبيت مال المسلمين في مقابل توفير الحماية والأمن لهم ولذراريهم، وفي مقابل حريتهم في إقامة شعائر دينهم، وفي مقابل إعفائهم من الجهاد والحرب، والجزية يقدرها الحاكم المسلم على ضوء حرفة دافعها وسنِّه وعائلته، وقد أعفى عمر ﷺ من الجزية عجائز أهل الكتاب، وفرض للمحتاجين منهم عطاء من بيت مال المسلمين، ولا غرو فالإسلام يعتبر الإنسانية عائلة واحدة.

٣- إذا أبى الكافرون دفع الجزية والدخول في الإسلام، فلا يبقى عندئذٍ من وسيلة إلا قتالهم ليظهر دين الله على كل دين، ويكون دين الله هو الأعلى، ويكون الدين كله لله، ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله**﴾ [الأنفال: ٣٩]، ومعنى الآية الكريمة على المسلمين أن يقاتلوا الكافرين حتى لا يقوى الكَفر، فيفتن المؤمنين عن دينهم، ويظل دين الله ظاهرًا على كلِّ دين.

٤- إذا دخل المسلمون حربًا، فعليهم أن يلتزموا آداب الحرب كما سنها لهم رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون، وذلك بأن يخلصوا هجرة جهادهم لله وحده لتكون كلمة الله هي العليا، ثم عليهم أن يكونوا شرفاء في حربهم كما هم عادلون في سلمهم، وألا يقاتلوا إلا كافرًا، وألا يمثلوا بالقتلى، وألا يقتلوا طفلاً ولا امرأةً ولا شيخًا ضعيفًا عن القتال، وهي كما يرى القارئ وصايا تضع دستور الحرب الحضارية التي كفر بها الصهاينة وغيرهم حين لم يرحموا طفلاً ولا امرأةً ولا شيخًا، بل ولا وليدًا في مهده.

٥- وعلى المسلمين أن يحترموا عهد أي مسلم من المجاهدين وغيرهم، فقد أجارت أم هانئ بنت أبي طالب أسيرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، وإذا أبرم المجاهدون عهدًا للأعداء أصبحوا ذميين، لهم حق صيانتهم في أموالهم وأعراضهم وأبنائهم، ومن قتل من المسلمين ذميًّا معاهدًا لم يشم رائحة الجنة، وما أصدق شوقي -رحمه الله- حين مدح النبي الكريم فخاطبه:

وَإِذا عَفَـــوتَ فَقـــادِرًا وَمُقَـــدَّرًا ... لا يَســـتَهينُ بِعَفـــوِكَ الجُهَـــلاءُ

وَإِذا أَخَـــذتَ العَهـــدَ أَو أَعطَيتَـــهُ ... فَجَميـــعُ عَهـــدِكَ ذِمَّـــةٌ وَوَفـــاءُ

الحَـــربُ في حَـــقٍّ لَـــدَيكَ شَريعَـــةٌ ... وَمِـــنَ السُّـــمومِ الناقِعـــاتِ دَواءُ

حبُّ الله ورسوله (الجهاد)

الحمد لله الذي رزقنا حبه وحب رسوله والمؤمنين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل الرسل وخاتم النبيين، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ إنَّ أعظم أثر تركه الإسلام في شباب الإسلام هو أنه استغل فيهم حبهم للفروسية، فوجههم إلى طموحات الخير وحب الجهاد، وأوجد فيهم عشق العلا وسمو الطموحات، ولقد حبب إليهم معالي الأمور، وكرّههم في سفاسفها، ونقل طموحهم من حبِّ الشهوات وركوب الخيل للغزو والنهب والسلب، فلما جاء محمد ﷺ بالهدى ودين الحق علَّمهم حب الله ورسوله والتضحية في نصرة دينه، وسما بتطلعاتهم حتى أوصلها إلى ما فوق السموات السبع إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله، لقد صار حبُّ الله ورسوله أهم عندهم وأغلى من الوالد والولد، ومن كلِّ غالٍ من متاع الحياة.

وإلى الإخوة القراء هذه المواقف العطرة من تضحيات الخالدين صدر عنها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً:

- جاء في الصحيحين والسير ما معناه أن أحد فتيان الأنصار واسمه معاذ بن عمرو بن الجموح هجم على أبي جهل في غزوة بدر فضربه بسيفه على ساقه فقطعت قدمه ونصف الساق، فانقض عكرمة بن أبي جهل على الفتى فضربه بالسيف على عاتقه، فقطع يده، لكنها لم تنفصل وظلت معلقة بجلده، فشعر معاذ بن عمرو بن الجموح أن تلك اليد تعوقه عن القتال، ولكي يتخلص من تلك اليد ويستأنف الجهاد بقوة وضع كفه على الأرض، ثم داس عليه بقوة وتمطى إلى الخلف فانفصلت اليد وسط ألم شديد، وقاتل ﷺ سائر يومه.

- وفي الصحيحين أن أنس بن النضر غاب عن يوم بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال مع المشركين؛ لئن اللهُ أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه)، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين)، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد الجنة، ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله أن أن أصنع ما صنع أنس، فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد مثل به المشركون، فما عرفه إلا أخته بشامة له أو بشكل أصابعه.

- وروى مالك -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ قال في أواخر أحد: من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع، وسعد هذا ﷺ كان من السابقين الأولين في الإسلام، ومن نقباء العقبة. فتطوع محمد بن مسلمة ومضى حتى وجده جريحًا وبه رمق، فقال سعد ﷺ لمحمد: ما شأنك؟ فقال محمد: إنَّ رسول الله يبلغك السلام، وقد أمرني أن أنظر ما صنعت، وهل أنت في الأحياء أو الأموات، فقال سعد ﷺ: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ، وقل له: إن سعدًا يقرئك السلام، ويقول لك: جزاك الله خيرًا عن الإسلام، فلولاك بعد الله ما آمنا. ثم قل لقومي: لا عذر لكم إنْ تركتم المشركين يصلون إلى رسول الله ﷺ، وفيكم عين تطرف.

وعلى ذكر سعد بن الربيع، فإن أبا بكر ﷺ رئي وهو يقبِّل طفلة لسعد بن الربيع ويشمها ويرتب رأسها، فقيل له: من هذه الطفلة؟ فقال: هذه ابنة رجل أفضل مني ابنة سعد بن الربيع.

- وفي سيرة ابن هشام أن أبا عزيز (وهو أخو مصعب بن عمير ﷺ) وقع في الأسر يوم

بدر، وكان الذي أسره رجل من الأنصار يقال له: أبو اليسر، وبينما كان أبو اليسر يسوق أبا عزيز مرَّا على مصعب بن عمير ﷺ، فصاح به أخوه أبو عزيز: يا مصعب، أنا أخوك، فالتفت إليه ولم يعره انتباهًا، وقال لأبي اليسر: اشدد وثاقه يا أبا اليسر، فإن أمه غنية وهي قادرة على دفع فدية عظيمة. قال أبو عزيز: أتقول هذا يا مصعب وأنا أخوك؟ فقال مصعب: لست أخي؛ لأنك كافر، لكن أبا اليسر هو أخي دونك.

- وفي كتب السيرة أن رسول الله ﷺ حين انكشف عنه المسلمون نفذ إليه المشركون فجرح جراحات بالغة وأشيع أنه عليه الصلاة والسلام مات فبكاه المؤمنون بالمدينة بكاءً عظيمًا، فلما كتب الله له السلامة وعاد هو وصحبه إلى المدينة لقيتهم امرأة أنصاري من بني دينار، فقالوا لها: أحسن الله عزاءك في زوجك وأبيك وأخيك، فقالت: ويلكم ما عن هذا جئت أسأل، ولكن كيف رسول الله ﷺ؟ قالوا لها: هو بخير وعافية من الله، فقالت: أرونيه كي أطمئن، فأخذوها إليه، فلما رأته فرحت وأقبلت عليه وهي تقول: كل شيء بعدك يا رسول الله جلل (أي: بسيط).

أولاً: حب الله ورسوله من أرقى مراتب السلوك وأجل ضروب العبادة، يقول الله -تعالى- في سورة «البقرة»: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۞ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٦]، وذلك لأن هذا الحب الأعظم يهوِّن على المؤمن كل التضحيات في مرضاة الله ورسوله، ويسمو بالعقيدة في نفسه حتى يراها أغلى من ماله وولده والناس أجمعين.

إنَّ أمة تفضل عرض الدنيا على الله ورسوله وجهاد في سبيل الله هي في نظره -تعالى- أمة فسقت عن أمره، يقول ربنا ﷻ في سورة «التوبة»: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

ثانيًا: إنَّ حب الله ورسوله لا يكون بالدعاوى التي لا تقوم عليها دليل ولا بالتشدق الذي لا يصاحبه عملٌ جليل، فحب الله ورسوله هو قول وعمل واعتقاد، يقول ربنا ﷻ في سورة «آل عمران»: ﴿**قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

ثالثًا: حبُّ الله ورسوله هو سبب النصر الذي أحرزه السلف في معاركهم؛ لأن ذلك الحب كان يحدث في الجيش المسلم سباقًا نحو التضحيات، فيهجم وهو على أتقى قلب رجل غير مبالٍ أن يقدم نفسه لله بأن له الجنة، وهذا ما قدَّمناه في قصص السُّنة التي أوردناها، فقد كان همُّ شباب الأنصار هو التنافس في طاعة الله ورسوله، وحين قتل خمسة من شباب الخزرج كعبًا بن الأشرف ذلك اليهودي المؤذي لم يهدأ لشباب الأوس بال حتى سافر خمسة منهم إلى تبوك ليريحوا رسول الله ﷺ من يهودي آخر كان يؤذيه، وهو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾ [البقرة: ١٦٥، ١٦٦].

اللهم ارزقنا حب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

الثبات والصبر في مواجهة الأعداء

من آداب المؤمن إذا واجه العدو ألا تحدثه نفسه بالفرار حتى ولو رأى الموت عيانًا، بل يثبت ويصبر حين البأس حتى ينزل الله نصره على المؤمنين ويستظلوا عندئذٍ بظلال الآية الكريمة وهي قوله ﷻ في سورة الأنفال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

ولعل أجمل ما يعين المؤمن على الثبات في البأس ذكر الله ﷻ وطاعته وطاعة القيادة المؤمنة والاندماج في وحدة الإيمان التي تنظم صفوف المسلمين وأخيرًا وأولاً سلاح الصبر

وفي هذا يقول ربنا ﷻ ملخصًا أسباب النصر في سورة «الأنفال» أيضًا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

إنَّ المؤمن حين يخوض الجهاد يؤيده الله بصدق عزيمته كما يؤيده الله برسوخ إيمانه، فيوقع الرعب في قلوب أعدائه وينصره بذلك الرعب قبل أن يراه الأعداء.

إذا ذكر المؤمن ربه في القتال تذكر أن حياته من الله وإليه، وأن الموت حق، وأن الأجل مكتوب محدد، وأن الرزق في السماء فتراه عندئذٍ وقد هانت عليه نفسه لما ينتظره من ثواب الشهداء ومصير السعداء، ومن أجل ذلك قال علي ﷺ حين سئل: لماذا لا تفر في القتال:

في أي يـــومي مـــن المـــوت أفـــر ... أيـــوم لم يقـــدر أم يـــوم قـــدر

ومعنى البيت: متى تريدونني أن أفر من الموت، إذا فررت في اليوم الذي قدر فيه الموت فلا فائدة من الفرار، وإذا فررت في اليوم الذي لم يقدر لي فيه الموت فما فائدة الفرار، وفي هذا يقول ربنا ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الأحزاب: ١٦].

المؤمن لا يفر من الزحف إلا بناءً على خطة يرسمها القائد يكون فيها مصلحة للمعركة، وذلك لأن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر، والفرار من الزحف معناه أن يخلِّف المنهزم وراءه دينه وشرفه وعزة وطنه، ويولي الأعداء دبره يتحكمون فيه كيف يشاءون، فيحتلون أرض الإسلام وديار المسلمين ويعيثون فسادًا في مقدساتهم، وكما حصل في الحروب التي خضناها حديثًا حين فررنا في عام ثمانية وأربعين ففقدنا خمسة أسداس فلسطين بما فيها من مساجد ومقدسات، وحين فررنا وتخاذلنا في عام سبعة وستين فضاع منا المسجد الأقصى ولزمنا عار لا يمحى إلا بمعركة إيمانية يزينها الثبات والوحدة والصبر.

لقد ضرب سلفنا الصالح مثلاً أعلى في صدق البأس حتى لقد هزموا بثباتهم جيوش الكفر المتغطرس في ديار الأكاسرة وفي عرين القياصرة، وهم لا يدانونهم عددًا وسلاحًا، لكن الإيمان الذي يؤهل العشرين المؤمنين الصابرين أن يغلبوا مائتين، وكان إمامهم في الثبات

رسولهم ﷺ، قال علي ﷺ: كنا إذا احمر البأس وحمي الحديد اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا مَنْ هو أقرب إلى القوم منه.

لقد غاظني منذ يومين كلام أجاب به رئيس الصهاينة الجبناء حين سأله سائل: ألا تخافون الهجومات المستقبلة من العرب؟ فقال: إن العرب هزموا وهم الآن في غمار الهزيمة لا يخشى هجومهم؛ لأنهم انتهوا ولن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا إلا الكلام.

هذا الكافر ما كان ليجرؤ على الاستهانة بالعرب لولا أن كثيرًا منهم في وادٍ والإسلام في وادٍ آخر مع أن التاريخ أثبت بالوقائع أن العرب لا ينتصرون ولا تقوم لهم قائمة إلا إذا اجتمعوا على الإسلام وقاتلوا تحت لوائه.

ولعل أصدق شاهد من الوقائع ما كان من النبي ﷺ وصحبه يوم بدر؛ إذ نصرهم الله وهم قلة حتى إذا جاء يوم حنين بعد حوالي سبع سنوات من بدر أعجبت المسلمين كثرتهم وغفلوا عن أن الكثرة ليست كل شيء في المعارك، وعندئذٍ لم تغن عنهم كثرتهم شيئًا، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين إلا إمامهم الصابر المحتسب فقد ثبت وهو يستنصر ويقول:

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وكان ما كان من هزيمة هوازن رغم قدرة فرسانها الهائلة في الرماية، لكن الله عذَّب الذين كفروا بسبي ذراريهم وذهاب أموالهم وتشتيت شملهم لولا أن تاب الله عليهم حين خضعوا للإسلام ونزلوا على حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ولقد اقتدى الصحابة والتابعون بثبات نبيِّهم -عليه الصلاة والسلام، فقرأنا نماذج من صدق البأس في سيرة الخلفاء وفي العشرة المبشرين بالجنة.. برز أحد المشركين على بعير نشيط له يطلب المبارزة فبرز إليه الزبير بن العوام ﷺ فقفز كالأسد فوق البعير، فنزلا معًا وتدهدها، فعلاه الزبير فقتله، فاستقبله النبي ﷺ فقبَّل ما بين عينيه وهو يقول له: فداك عمي وخالي.

ووقف طلحة بن عبيد الله حول رسول الله ﷺ يوم أحد يقاتل عنه حتى أغمي عليه مرات، فيقوم من إغمائه ليستأنف القتال، ورجع ﷺ بأكثر من عشرين جرحًا.

وحتى نساء المسلمين -رضي الله عنهن- كن في ذروة معجبة من صدق البأس، فقد قرأنا أن أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- شهدت اليرموك مع الناس، فقتلت سبعة من الروم بعمود خيمتها.

وقرأنا أن خالدًا ﷺ تكسرت في كفه سبعة أسياف يوم مؤتة، وعبر التاريخ رأى الناس من أصحاب رسول الله ﷺ بطولات أثبتت أن العرب إذا رفرفت عليه ألوية الإسلام تحوَّلوا قوى ربانية لا تنهض لها الجيوش.

نسأل الله -جلَّ وعلا- عزيمة على الرشد تأخذ بأيدينا إلى أخلاق الإسلام، فننتقم من اليهود والذين ظاهروهم ومن الصليبيين المتآمرين معهم ونعيد تاريخنا الماجد سيرته الأولى.

اليقظة والحيطة في مؤامرات أعداء الإسلام

من أهم آداب المؤمن أن يكون يقظًا لمؤامرات الأعداء شديد الحذر من مكائد الملاحدة، لا يقف من دسائس الخبثاء موقف المخدوع المتفرج، ولكن يقف منها موقف الذكي الممحص والشجاع المستقل برأيه.

إنَّ مما أثخن أمتنا في هذه الأيام أنها تقف من سموم العدو وأفكار المنافقين والخادعين موقف المقلد تقليدًا أعمى، وأنها لا تبالي أن تتجرع الموت من سمومه، وتتمرغ في أشواك أفكاره، مع أن الله اختارنا لنكون أئمة دعاة إلى الخير والهدى ودين الحق ولم يكرمنا بأنوار الإسلام لنخبط مع أهل الضلالة في ظلمات الإمعية.

المسلمون في هذه الأيام يركضون وراء العدو حتى لو دخل جُحر ضبٍّ لدخلوه، وقد انتهز العدو هذا الداء فيهم فضرب بهم في دروب الهلكة يلقيهم فيها ليعمل بعدئذٍ في أوطانهم نهبًا ولصوصة وفي أفكارهم غزوا مدمرًا موبقًا.

المؤمن لا يقلد الكافرين، ولكن يرشدهم ويهديهم للإيمان ولا يصدر في أعماله إلا عن أوامر دينه، ودين الإسلام كما وصف الله نبيَّه محمد ﷺ أحل الطيبات وحرم الخبائث، ولهذا وجب على أمة محمد إذا أرادت أن تقتبس عن غيرها من الأمم أقول: وجب عليها أن تنظر فيما تقتبسه، فإن وجدته طيبًا أخذت به، وإن وجدته خبيثًا نبذته، وعلى سبيل المثال، فإن رسول الله ﷺ حين طلع نوره على المجتمع الجاهلي أقر مكارم الأخلاق التي اعتادها العرب كالجود والوفاء وحماية

الجار والنخوة وإغاثة الملهوف والفروسية، أما ما شاع في الجاهلية من خبائث، فقد حرَّمها الإسلام ونبذها المسلمون، وكان من تلك الخبائث أنواع النكاح النجس، والزنا الذي كانت تحترفه بعض الجواري، ووأد البنات، وأكل الربا، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وعبادة الأصنام.

وعلى الجملة، فإن المؤمن يقتبس الطيبات مبتعدًا عن الإمعية والتقليد الأعمى الذي لم يرتضيه الإسلام للمسلم.

لقد كان سقوط عرب الجاهلية في عبادة الأصنام ناجمًا عن موقف من مواقف التقليد الأعمى الصادر من رجل يقال له عمرو بن لحي، فقد ذهب عمرو هذا إلى بلاد الشام فوجد قبائل تعبد الأصنام فأحضر معه بعضها، فانتشرت على يدي ذلك الطاغوت وشاعت على إثر ذلك عبادة الأصنام بين العرب، فكانوا ربما اختاروا حجرًا نظيفًا فعبدوه، وربما نصب كل واحد في بيته صنمًا من خشب أو حجر، وكان بعضهم ربما صنع له صنمًا من التمر، فإذا جاع أكل ربه المزعوم.

فلما بعث رسول الله ﷺ نفى كل ما عُبِدَ من دون الله، وأخلص العبادة كلها لله وحده لا شريك له، وأقام للمسلمين قدوة يرونها كل ساعة متى أرادوا ألا وهي أخلاقه ﷺ، وهي قدوة ارتضاها لنا ربنا ﷻ؛ إذ خاطبنا في محكم كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

إنَّ العرب في هذه الأيام قد توزعتهم قدوات غير صالحات، ففي ميدان السياسة انقسمت الأمة إلى شرقي وغربي، وفي ميدان الدين اختار بعضهم الإلحاد، وفي حقل المذاهب الاجتماعية فأعلن بعضهم أنه شيوعي يفضل ذلك المذهب على شريعة الإسلام، وفي حمأة هذا الخلاف سقطت أمتنا في دركات الشقاء.

ولعل أقرب مثل على فداحة خسارة أمتنا ما حصل لنا في معالجة قضية الإسلام في فلسطين، فالبعض قال: نعالج القضية على أنها إسلامية، وقال آخرون: بل نعالجها على أساس أنها عربية قومية، وآخرون قالوا: بل لا بدَّ من اعتبارها علمانية؛ لأن بعض النصارى يشتركون معنا في المنظمات، وبذلك ضاعت قضيتنا حين احترفنا الكلام، وكنا الراعي الذي نهب اللصوص إبله، فطفق يسبهم، وعاد إلى قومه يقول بإحساس المنتصر: «أوسعتهم سبًّا

وراحوا بالإبل»، وفي هذه الأيام أوغل التقليد الأعمى في قضية الأدب والشعر العربي خاصة، فبعد أن كان شعرنا يزجينا إلى المثل العليا، ويساهم في المعارك وإثارة الحماسة وقع بعض أدعياء الشعراء في تقليد أعمى لأدب الشعراء الملاحدة والكفار بعد أن درسوا أدبهم، فتقطعوا أمرهم فرقًا، وهاموا بكل كافر وملحد، ولما رأوا شعراء الكفار قد تقسمتهم مذاهب الإلحاد والانحلال قصروا شعرهم على دعوات الانحلال، فضاع أدبنا حين وقع في أيدي حفنة من المقلدين الذين لم يفعلوا شيئًا إزاء الفكر المبتدع واللغة الجميلة والعواطف النبيلة، وكل ما فعلوه أنهم عاثوا فسادًا في أوزاننا وقوافينا وحلاوة أدبنا وطلعوا علينا بأدب هزيل تؤزه الوثنية والهدم والانحراف، ثم تكشفت حقيقة طواغيتهم، وإذا هم خونة وملاحدة، ومع ذلك لم يفيقوا فيضربوا بذلك الغثاء المجرم عرض الحائط.

إنَّ عالمنا اليوم مضلل في عقيدته وليس إلا الإسلام ملجأ يمكن أن يأخذ بيد هذا العالم إلى فردوس التوحيد والأخلاق.

إنَّ الصليبية اليوم تلفظ أنفاسها بعد أن سئم شبابها من ترداد تعبيراتها الملحدة وسقوط رجالها في حمأة الشذوذ، وما حدث من تخبطهم حين برأوا اليهود في زعمهم من دم المسيح مع أن هذا الأمر المزعوم هو في صلب كتابهم المقدس حتى لقد نشرت وكالة رويتر في سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد أن قلم استخبارات كان يرشو جهات دينية صليبية بالمال ليخفف وطأة موقف الكتاب المقدس من اليهود، ولقد رأيت بعيني إقبال شباب الصليبية على الفساد واعتناق الشيوعية والوثنية والبهائية في حين يعيش شباب الإسلام -بفضل الله- صحوة مباركة تعطفهم إلى أصول دينهم الحنيف، وتسوقهم إلى كلِّ خلق شريف مهيبة بهم، «**لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت**»، حتى إن معظم أبطال الحجارة جعلوا شعارهم الله أكبر، وحتى لقد أصبحت المساجد ملأى بهذا الجيل من الشباب المؤمن الذي أنكر على أهل هذا الكون من مفاسد الانحراف والمخدرات والتميز العنصري والفساد اليهودي، فحققوا بذلك ما تنبأ به الرسول الله ﷺ عن الفئة المؤمنة التي لن تزال قائمة على الحق منصورة به لا يضرها من ضل إلى يوم القيامة.

اللهم ارزقنا التمسُّك بهذا الدين، وجنبنا تبعية الملحدين والكافرين.

من أحاديث الآداب

هذا الموضوع سوف نخصصها -إنْ شاء الله- لنبذة من الثقافية الإسلامية حول السُّنة النبوية أو الحديث الشريف، وقد استفدت في هذه النبذة من كتاب قيِّم لأستاذنا الدكتور محمد مصطفى الأعظمي أستاذ الحديث بكلية التربية بجامعة الرياض، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: السُّنة النبوية والحديث الشريف تعبيران مترادفان، ومعنى كل منهما باختصار كل ما أُثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو سجية خلقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

ثانيًا: السُّنة بمعناها اللغوي هي الطريقة، قال لبيد ﷺ من معلقته يفتخر بقبيلته عامر:

من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سُنَّة وإمامها

وقد وردت كلمة السُّنة في الحديث الشريف بمعنى الطريقة، ففي صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»، وفي (صحيح البخاري) من حديث أنس ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي**».

ثالثًا: كثيرون من أهل الضلال يستهينون بالسُّنة النبوية، وقد تسمعه يقول كلمة كبيرة محرمة تخرج من فمه، كما يقطر السمُّ من أنياب الأفاعي، يقول لك وهو يوهمك بحسن نواياه الخبيثة: أنا أؤمن بالقرآن.

أما السُّنة؛ فقد دخلها الوضع والرواية الضعيفة من ثم فلا لزوم لها، وقد استشرى هذا القول في حقبة من الزمن فرّوج له المستشرقون، ثم جاء من العرب من هو أوقح من المستشرقين، فجاهر بالنيل من السُّنة المطهرة، وكشف قناعه عن وجه خائن وقاح مما دعا بعض الغيورين إلى إنشاء المركز الدولي للسُّنة النبوية، وهو مركز مبارك -إنْ شاء الله- أنشئ في القاهرة، وأسندت رئاسته إلى عالم عامل من علماء السُّنة هو الشيخ «محمد الطيب النجار»،

وقامت المملكة العربية السعودية بدعمه علميًّا وماليًّا، وسوف يعد هذا المركز -إنْ شاء الله- موسوعات متخصصة في تخريج الأحاديث وتبيِّن مدى صحتها، وينسق المركز الآن مع إدارات البحوث الإسلامية في ديار العالم الإسلامي، وتبدو طلائع التوفيق في أعماله مما يدل على صدق نوايا القائمين عليه والمؤيدين له.

رابعًا: للسُّنة النبوية مكانة عظيمة في الإسلام، فهي أهم مصدر للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله، وقد ترك رسول الله ﷺ في أمته أمرين لن يضلوا ما تمسكوا بهما كتاب الله وسنة رسوله؛ إذ إنهما أمران متصلان لا ينفصلان، إذ كل منهما مكمل لدين الإسلام، ولقد أخبر رسول الله ﷺ أنه أوتي القرآن ومثله معه، ومن ثَمَّ فالمنكر للسنة النبوية المطهرة كافر.

وهذا ما تقرره الحقائق الآتية:

أ- إنَّ القرآن الكريم نفسه أسند إلى رسول الله ﷺ وظيفة تبيِّن القرآن بتفصيل إجماله وجلاء متشابهه، يقول الله -تعالى- في سورة «النحل»: ﴿**أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

ب- إنَّ رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة لكل من آمن بالله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا، وقد اقتدى به أصحابه والسلف الصالح ونقل التابعون عن السلف سيرة الرسول الكريم وأخلاقه وشئونه، فمن لم يقتد برسول الله ﷺ فقد ارتضى أن يخرج من عقد المؤمنين بالله واليوم الآخر، وقد يقول متقوِّل: إنَّ التابعين الذين سجلوا أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وسيرته قد زادوا فيها ونقصوا وعبثت ببعضهم الأهواء المذهبية والانتماءات السياسية.

ونقول: إنَّ هذا الأمر إذا كان قد حدث شيء منه، فإن علماء التابعين -رحمهم الله- قد تعقبوا المتزيدين ومحصوا الحديث الشريف، وكان الرعيل الأول ممن جندوا أنفسهم لخدمة الحديث أحرص الناس على تحري الصدق ونبذ الزيادة، وقد عاشت تلك النخبة المباركة من جامعي الأحاديث في عصر واحد، وكان إمامهم هو ذلك العالم الموفق وأعني به الإمام البخاري -رحمه الله؛ فلقد عاصره أولئك الأبرار الذين أرسوا قواعد جمع الحديث، وهم الإمام مسلم والأئمة أصحاب السُّنن، وهم على حسب الأقدمية أبو داود سليمان السجستاني

وابن ماجه واسمه محمد بن يزيد، والترمذي واسمه محمد بن عيسي السلمي، والنسائي واسمه أحمد بن شعيب الخراساني، وكان يعاصرهم الإمام أحمد بن حنبل، وسبقهم ببضع سنوات الإمام مالك بن أنس صاحب «الموطأ»، وهؤلاء جميعًا عرفوا بتقوى الله والزهد في الدنيا، وقد جنَّدوا أنفسهم لخدمة الرسول ﷺ، وكانت لهم رحلات ومخاطرات وقصص عجيبة في جمع الحديث الشريف مما جعلهم من أعلام الأئمة والمجاهدين -رحمهم الله.

جـ- الحقيقة الثالثة أن رسول الله ﷺ ما أرسل إلا ليطاع، قال الله -تعالى- في سورة النساء: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول في السورة نفسها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٩٥]، وإذن فمن قال: أنا أعمل بالقرآن ولا أعمل بالسُّنة، فقد ناقض القرآن الكريم الذي أمر بطاعة الله والرسول، ومن ثم فمنكر السُّنة كافرٌ.

د- الرسول ﷺ صاحب سلطة تشريعية ذكرت في القرآن الكريم، وإنه عليه الصلاة والسلام يُحلُّ ويُحرِّم، قال تعالى في سورة الأعراف في وصف رسول الله ﷺ: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧]، وإذن فمنكر السُّنة هدَّام لسلطة الرسالة التشريعية، وعندئذٍ فهو كافر؛ لأنه يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

إنَّ السُّنة هي التي بينَتْ كيفية الصلاة وطريقة الحج ونصاب الزكاة، وقد التزم السُّنة الخلفاء الراشدون حتى لقد أحل الصديق ﷺ دم مَن يمنع عقال بعير كان يؤدى لرسول الله ﷺ.. إنَّ التآمر على السُّنة هو مؤامرة على الإسلام.

اللهم اجعل نبيَّك محمدًا ﷺ إمامنا وأسوتنا في الدنيا، واجعله شفيعنا يوم القيامة.

***

من أحاديث الآداب

علاقات المسلمين مع غير المسلمين

كما أقام الإسلام أكرم العلائق وأقدسها وأوثقها بين كلِّ مسلم وأخيه المسلم، فقد أقام أيضًا علائق المساواة والحق والعدل والإخاء الإنساني بين أفراد الإنسانية.. فالناس كلهم عيال الله، وخير خلق الله أنفعهم لعياله، والناس في الإسلام كلهم لآدم، وآدم من تراب فلا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى، وأكرم الناس عند الله أتقاهم، والإنسانية كلها عائلة واحدة خلقها ربنا من أب واحد وأم واحدة، ثم لما اتسعت وصارت شعوبًا وقبائل أوصاها الإسلام ألا تنسى أصلها ورحمها الموصولة، وأن تتعارف فيما بينها وتتعاون على الخير.

وهذه أحاديث كريمة تعرض لعلاقات المسلمين مع غيرهم، وهي كما سيتضح من الأحاديث علاقات سبقت في سموها وصايا الحضارات الإنسانية:

- روى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن عبد الله ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت النبي ﷺ يقول: «**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

- ومرَّ عمر ﷺ على يهودي كبير السن يسأل (أي: يطلب الصدقة) فسأله فقال: السن والجزية، فقال عمر ﷺ: ما أنصفناك. وفرض له من بيت المال ما يغنيه عن السؤال.

- وفي سيرة ابن هشام أن رسول الله ﷺ استقبل وفد نصارى نجران الذين جاءوا يسألون عن الإسلام استقبالاً كريمًا، وأنزلهم في المسجد، ولما حضرت صلاتهم أذن لهم أن يصلوا في بعض المسجد، وكان عليه الصلاة والسلام أثناء ضيافتهم يخدمهم، ويحمل الطعام لهم بنفسه.

- وروى البخاري ومسلم أن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- قدمت عليها أمها من مكة وهي مشركة، فقالت: فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: قدمت عليَّ أمي وهي راغبة (تعني أن مقدمها كان عن حبٍّ ورغبة)، أفأصل أمي. فقال لها رسول الله ﷺ: «**نعم صلي أمك**». ونزل في ذلك آيتان من سورة «الممتحنة»: ﴿**لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي**

الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

- وروي أن رسول الله ﷺ مرت عليه جنازة فقام فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «**أليس ابن آدم؟!**»، وفي رواية: «**أليست نفسًا؟!**».

- وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن ينادي في جيش المسلمين الذي غزا خيبر: «**إنَّ الله لم يحل لكم ضرب أهل الكتاب إلا بإذنه، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم**».

- ولأبي داود أيضًا من حديث صفوان بن سليم أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن ظلم معاهدًا أو انتقصه وكلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة**».

أولاً: لقد علَّم الإسلام أبناءه أن ينصفوا من أنفسهم، وأن يعدلوا في أحكامهم حتى حين يصدرونها على من يبغضون، فما يجوز أن يجرمهم الشنان (أي: أن يحملهم البغض) على ترك العدالة؛ لأن العدل أقرب للتقوى.

ثانيًا: كفل الإسلام لمن يقيمون في الدولة الإسلامية من أهل الكتاب من يهود ونصارى حرية العبادة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اتركوهم وما يدينون**»، وجعل للذميين ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، ومنع الإكراه في الدين، وما على الداعية المسلم إلا أن يبيِّن الرشد من الغي والحق من الباطل، وبعدئذٍ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

ثالثًا: أباح الإسلام لغير المسلمين من المسالمين المقيمين في الدولة الإسلامية أن يسكنوا مدن المسلمين، وأن يبادلهم المسلمون البيع والشراء والزيارات وعيادة المرضى وتبادل الهدايا والصلة؛ لأن عقد الذمة إنما شرع ليكون مقدمة لتألف قلوبهم ومن ثم إسلامهم.

وجاء في نص الآية الكريمة من سورة «الممتحنة» ما يشجع على الإحسان للذميين من أهل الكتاب إذا لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يتآمروا على طردهم من أوطانهم، ولم ينصبوا من أنفسهم عملاء للدخلاء والغزاة الكفرة، كما فعل بعض مراض القلوب من النصارى حين انضموا إلى جيوش الصليبيين، وفعل بعض الخونة من النصارى حين ألفوا جيشًا محالفًا

لليهود الغاصبين، يقول الله تعالى في سورة «الممتحنة»: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، (ومعنى تبروهم أي: تحسنوا إليهم، ومعنى تقسطوا إليهم أي: تعدلوا في معاملتهم).

رابعًا: يحاكم الذمي في المحكمة الإسلامية في الجنايات في أصح الأقوال، ويصدر الحكم في حقه بالعدل خاليًا من أي هوى، حتى ولو كان غريمه مسلمًا، وفي سورة «النساء» قصة مسلم اقترف جريمة واتهم بها يهوديًّا، فأدان القرآن الكريم ذلك الفعل وحكم ببراءة اليهودي وتجريم المسلم.

خامسًا: يمارس غير المسلمين في الدولة الإسلامية عبادتهم، حتى إنه لا يجوز للمسلم أن يمنع زوجة اليهودي أو النصراني أن تذهب إلى الكنيس أو الكنيسة.

سادسًا: إذا شرب غير المسلم خمرًا أو أكل خنزيرًا لم يكن للمسلمين أن يمنعوه مادام يفعل ذلك في غير مجاهرة، لكنهم يجب أن يزجروا المسلم ويحدوه إذا شرب الخمر، ومن الأحكام التي تدلُّ على عدالة مطلقة في الإسلام أن المسلم إذا أتلف للمسلم خمرًا أو خنازير، فإنه لا يغرمها؛ لأنه قاوم أمرًا محرمًا، أما إذا أتلف خمرًا أو خنازير لنصراني فإنه يغرمها.

سابعًا: لا يجوز للمسلم إذا ناقش ذميًّا في أمر الدين أن يتجاوز في الجدل حدود اللياقة، بل عليه أن يبدأ بداية حكيمة فيذكر اليهودي والنصراني بأن الدين يدعو إلى توحيد الله، وأن رب العباد واحد يعبده كل أصحاب الأديان السماوية، ومن ثم يقرب المسافة بين القلوب عن طريق الدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة، قال الله –تعالى– في سورة «العنكبوت»: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إنَّ منهاج الدعوة الإسلامية منهاج منير وطريقتها طريقة مؤدبة، فلا سباب ولا بذاء ولا هوى ولا غوغائية، حتى لقد نهى الإسلام عن سباب معبودات المشركين حتى لا يسبوا الله عدوًا بغير علم.

ثامنًا: ولتقريب قلوب أهل الذمة أحل ربنا للمسلمين طعام الذين أوتوا الكتاب وطعام المسلمين للذين أوتوا الكتاب، وأجاز للمسلم أن يتزوَّج كتابية لعلها حين ترى أخلاق المسلمين وما يجملها من العدل والإحسان والتقوى لعلها تؤمن على بصيرة وتفكير..

على أن كلَّ هذا التسامح والنبل وكرم الصحبة وحسن العشرة والمعاملة كل هذه مشروطة بأن يكون غير المسلم ذا نوايا حسنة، وأن يكون شاكرًا لمواطنيه المسلمين ولوطنه الإسلامي الذي يكرمه ويقاسمه لقمة العيش، أما حين تبدر منهم بوادر الخيانة؛ فإذ ذاك تكون العقوبة الشديدة التي تحكم بها كل الأمم في هذه الأيام وتسمى جريمتها الخيانة العظمى.

من أحاديث الآداب

الوفاء بالعهود والمواثيق

للعهود والمواثيق في الإسلام حرمة عظيمة، فقد كان رسول الله ﷺ أوفى الناس بعهده استجابةً لقول الله ﷻ: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة: ١]، وقوله تعالى في وصف أهل الهدى والإنابة: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾ [الرعد: ٢٠].

ولقد أجاد شوقي -رحمه الله- حين مدح النبي ﷺ فقال:

وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ ... فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ

وهذه أحاديث شريفة حول العهد والميثاق نبيِّنها ثم نذكر الأحكام المستنبطة منها:

- روى أبو داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن كان بينه وبين قوم عهدٌ، فلا يشد عقده ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء**».

- وروى أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

- وروى مالك أن رسول الله ﷺ استقبل رسولين لمسيلمة ومعهما منه كتاب فقرأه ثم قال للرسولين: «**ما تقولان أنتما؟**» قالا: نقول ما قال (أي: مسيلمة)، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أما والله لولا أن الرُّسل لا تقتل لضربت أعناقكما**».

- وفي سنن أبي داود من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: إن كانت المرأة تجير على المسلمين فيجوز.

- وفي السنن أيضًا أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: ما غدر وفسد قومٌ بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، فيقال: هذه غدرة فلان**».

- وجاء في السنن وكتب السيرة أن النبي ﷺ حين وصل إلى المدينة ارتاع اليهود وكرهوا مجيئه، وطفقوا يؤذونه ويسمعون أصحابه هُجر القول، وكان أشدهم في ذلك كعب بن الأشرف، فدعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ ﷺ وأوعز إليه بالتخلص من ذلك المؤذي، فأرسل إليه محمد بن مسلمة في ثلاثة نفر، فقتلوا اليهودي المعتدي داخل حصنه، وفروا إلى النبي ﷺ حيث أخبروه بهلاك ذلك البذيء الباغي، وهنالك ذعر اليهود في المدينة وضواحيها وجاءوا إلى رسول الله ﷺ فزعين وقالوا له: لقد طرق صاحبنا وقتل بالليل داخل حصنه، وأصبح كل منا يحس بالخطر، فأخبرهم ﷺ بما كان من عدوانه وهجائه لرسول الله ﷺ، ودعاهم أن يكتب بينهم وبين المسلمين عهد يحافظ عليه الطرفان، فكتب بينهم وبينه الصحيفة المعروفة، ووفَّى رسول الله ﷺ بذلك العهد إلى أن خانه اليهود في غزوة الأحزاب، وطعنوا المسلمين من الخلف حين وافقوا على فتح الأبواب للغزاة المشركين ليسقطوا على المسلمين من فوقهم، وهنالك نبذ إليهم الرسول عهدهم وغزاهم في حصونهم بالحرة الشرقية وأوقع ببني قريظة؛ حيث أنزلهم على حكم سعد بن معاذ الذي أدانهم بالخيانة العظمى.

أولاً: اشتهر النبي ﷺ وسلفنا الصالحون والقادة المسلمون عبر تاريخ الإسلام باحترام العهود والمواثيق والوفاء بها نصًّا وروحًا مستجيبين بذلك لنداءات قرآنهم الكريم في سورة «المائدة»: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾، وفي سورة «الإسراء»: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾، وفي سورة «النحل»: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾، وفي الآية التالية لهذه السورة يشنع القرآن على ناقضي عهودهم ويشبههم بامرأة حمقاء من مكة كانت تغزل الغزل جيدًا ثم تنقضه وتقطعه أنكاثًا، ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ**﴾ [النحل: ٩٢].

وقد جاء في سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح مواقف من الوفاء بالعهد يعجب منها التاريخ والمؤرخون ويهتدي بسناها المهتدون، وقد جعل القرآن الوفاء بالعهد دليلاً على سمو العقل ونقاء التفكير، فقال تعالى في سورة «الرعد»: ﴿**أَفَمَن يَّعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾، ونفَّر المؤمنين من الغدر، وذكَّرهم بفضيحة كل غادر يوم القيامة حين ينصب على رءوسهم أعلام كُتب على كلٍّ منها كلمة غادر يفضحونه بها على رءوس الأشهاد، ولكي يذكِّر العرب بعمق جذور الوفاء فيهم ذكَّرهم أن أباهم إسماعيل عليه السلام كان صادق الوعد، فقال تعالى في سورة «مريم»: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا**﴾ [مريم: ٥٤].

ثانيًا: يشترط في العهد الذي يجب فيه الوفاء والالتزام ألا يكون قد فرض على المسلمين كُرهًا وابتزازًا، ومن منطلق هزيمة حلت بهم وانتصارًا للعدو عليهم، كما صدر قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) في حمأة هزيمة حزيران، وكما فرض الاستعمار على العرب هدنات ظالمة أثناء قتالهم في فلسطين فتلك عهود لا يجوز الوفاء بها، كما يشترط ألا يكون في العهد أي بند يخالف حكم الله ورسوله، ففي الحديث الشريف: «**كلُّ شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، ولو كان مائة شرط**»، كما لا يجوز الوفاء بالعهد إذا كانت فيه عبارة ملتبسة يؤوِّلها العدو لمصلحته كتلك العبارة التي وردت في قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢)، وفيها أن يجلو العدو عن أراضٍ احتلها عام سبعة وستين بتنكير كلمة «أراضٍ»، وكان المنطق أن يكتب عن جميع الأراضي التي احتلها.

ثالثًا: يجب نقض العهد إذا كشف العدو نوايا خبيثة تنبئ عن خيانة وغدر متوقع وتحرش مذل، كما يجب نقضه إذا بدأ العدو في نقضه كما كان اليهود عام ثمانية وأربعين ينقضون الهدنة، ويظلُّ العرب محافظين عليها، وكذلك الحال إذا كان العهد مؤقتًا بزمن، قال الله تعالى: ﴿**فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ**﴾.

رابعًا: ومن حضارة الإسلام ونبله شرع ألا يكون نقض العهد سرًّا أو مفاجأةً، بل يجب أن ينبذ العهد على سواء أي علانية، وإذا نبذ المسلمون العهد علانيةً؛ فعليهم ألا يهاجموا العدو بعد الإعلان مباشرة، بل عليهم الانتظار مدة كافية حتى لا يكون الأمر غدرًا، وإذا

بعث المسلمون إلى رئيس الأعداء يعلمونه بنقض العهد فما يجوز لهم أن يباغتوا العدو بالهجوم العاجل إلا بعد أن يتأكدوا أن رئيسهم بلغهم بنبذ العهد، والإسلام بهذا الأمر ينزِّه أتباعه عن الغدر، ويتيح لشعب الأعداء أن يدبر أمره ويفكر في الاهتداء قبل أن يهاجم.

وقد جاء في التاريخ الإسلامي أن سكان جزيرة «قبرص» ثاروا على الحكم الإسلامي في زمن «عبد الملك بن مروان»، وقتلوا كثيرًا من المسلمين الذين عايشوهم في تلك الجزيرة، فاستشار «عبد الملك» -رحمه الله- فقيهي عصره «الليث بن سعد» و«مالك بن أنس»، فقال الليث -رحمه الله: إنَّ أهل «قبرص» قد ثبت غشهم وتواترهم حتى لقد عرفوا دوامًا بالخيانة ومعاونة الروم ومناصحتهم.. أرى أن تنابذهم (أي: تعلن لهم بنبذ عهدهم) وتمهلهم سنة. وأما «مالك» فقد قال مثل «الليث» إلا أنه أفتى أن يعلن لهم نبذ عهدهم، فإذا لم يستقيموا بعدها ويدعوا الغش، واتضح أن الغدر مستقر فيهم؛ فلا بدَّ من الإيقاع بهم حيث لم ينفع معهم الابتزاز والأعذار، والله ناصر المؤمنين.

***

من أحاديث الآداب

حبُّ الله ورسوله

إذا أردت يا أخي القارئ أن تسلك مدارج السالكين وطرائق الفائزين، فعلِّق قلبك بحبِّ الله ورسوله، وذلك بأن تجعل هواك تبعًا له.. فتحب أحبابه وتلزم أبوابه وتكره أعداءه وتنضم في كلِّ أمورك إلى حزبه، وعندئذٍ ستذوق حلاوة ما ذقت مثلها ألا وهي حلاوة الإيمان في الدنيا ولذة النظر إلى وجه ربك الكريم في الآخرة، يقول رسول الله ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

هذه المنزلة من درجات أهل السلوك هي التي تسمو بروح المرء إلى ملكوت الله ورحابه، فيصبح حبه ملء قلبه وجوارحه، ويصبح كل حنينه إلى مشاهدة وجهه ونزول مغفرته ورحمته، وتسمو عندئذٍ أهداف عبادته، فتصبح أسمى من رغبة الجنة ومخافة النار.. إنه حينئذٍ

يعبد الله؛ لأنه يحبه، ولقد كانت رابعة العدوية -رحمها الله- وهي من أهل السلوك والرياضة تخاطب ربها ﷻ فتقول في جنح الليل: «إلهي وعزتك وجلالك ما عَبدتك رغبة في نعيم جنتك ولا رهبة من جحيم نارك، ولكنني عبدتك لأني أحبك، أعوذ بنور وجهك وواسع رحمتك أن تعذب أحبابك».

وقال الداراني -رحمه الله: «إنَّ لله عبادًا ليس يشغلهم عن الله ﷻ خوف النار ولا رجاء الجنة، فقد جعلوا كل همهم رضاه ومحبته، دعاؤهم: اللهم أذقنا حلاوة الإيمان، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم».

ووصف بشر الحافي شيخه معروف الكرخي -رحمهما الله- فقال: «إنَّ معروفًا لم يعبد الله شوقًا إلى جنته ولا خوفًا من ناره، وإنما عبده شوقًا إليه».

ومثل هذه المرتبة العالية يُرجى لصاحبها أن يرفعه الله إلى الرفيق الأعلى، وأن يرفع الحجب بينه وبينه.

وأنشد بعضهم يصف نعيم الصلة بالله:

فهجره أعظم من ناره ... ووصله أطيب من جنته

ولقد تألم رسول الله ﷺ حين انقطع عنه الوحي الذي هو رسول حبيبه، ثم لم يفارقه الهمُّ حتى أقسم الله له بنور الضحى وسجى الليل أن الله ما ودَّعه ولا أبغضه، وأنه كان ومازال يُصنع على عين الله، وستكون آخرته خيرًا من أولاه.

وقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ كيف يستطيع المسلم أن يصل إلى محبة ربه، وبيَّن أن الطريق إلى هذه السعادة يوصل إليه بوسيلتين: أولهما أن يؤدي العبد فرائض الله على أتم وجه وأكمله، فيصلي المكتوبات ويقيم صلاتها على أتم وجه، ويلازم الجماعة في المسجد، ويصوم رمضان صوم بطن وصوم جوارح، ويدفع الزكاة كاملة طيبة بها نفسه، ويحج إلى البيت العتيق كأتم ما يكون الحج، ثم ينتقل إلى الدرجة الأخرى من درجات المحبة، وذلك بأن يتقرَّب إلى الله بالنوافل، فيؤدي مع الفرائض نوافلها، ويصوم مع رمضان نوافل الصوم، ويضيف إلى الزكاة صدقات محتسبة، ويحج مع الحج نافلة، ويتم لله العمرة مبتغيًا بكلِّ هذا وجه الله الكريم وجزاءه العظيم، وهذا ما عناه رسول الله ﷺ بقوله فيما يرويه عن ربه: «**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي**

بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

نعم بكثرة العبادة يتحوَّل العبد ربانيًّا مؤيدًا مكتوبًا في حزب الله يسمع بسمعه ويبصر ببصره ويبطش بيده ويمشي برجله، وعندئذٍ يستجاب دعاؤه ويضمن عند الله عونه.

وإياك -يا أخي- أن يقودك هذا الكلام إلى شطحات الصوفية وتهويمات الدراويش، فتتكلم غير كلام أهل الشريعة أو تدعي علم الغيب أو تشخص ذات الله أو تمثلها، لقد عرفت بعض أهل التصوف كان لا يصلي ويدَّعي أن الملائكة تصلي عن يمينه، ورأينا بعض أهل الدروشة يعجب بالحلاج الذي أعلن أنه أفضل من الأنبياء، حتى لقد سمع وهو يقول: قدمي هذه على رقبة كلِّ نبي، فاستحق عند علماء زمانه أن يقتل بالسيف.

هذا وإذا رغبت -يا أخي- أن ترقى في مدارج المحبين فعليك بأمرين:

أولهما: أن تقنع من الدنيا بزاد الراكب، وأن تطلبها لبذل المال في الخير، وألا تتعلق بها فتجعلها أكبر همك وكل آمالك ومبلغ علمك، بل تنظر إليها كما كان ينظر إليها رسول الله ﷺ؛ إذ يقول: «**كُنْ في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان يضرب لنفسه وللدنيا مثلاً فيقول ما معناه: «**ما لي وللدنيا، وإنما أنا من الدنيا كمثل راكب جلس تحت شجرة ثم مضى لسفره**».

وثانيهما: أن تستمر في طريق معرفة الله، لعلك ترقى إلى مقامات العارفين، ويكون هذا بألا تفتأ مفكرًا في ملكوت الله متدبرًا لآيات وحدانيته، فتفكر في معجزة خلقك مزودًا بهذا العقل الذي فضلك الله به على كلِّ خلقه.

إنَّ معرفة الله ﷻ تأتي عن طريق التأمل والتفكر في دلائل قدرته وشواهد وحدانيته وطلب العلم الذي يكشف للعارفين أسرارًا عظمى من ملكوت السموات، فإذا امتلأ قلبك بمعرفته امتلأ بإجلاله وخشيته، ومرتبة المعرفة هذه هي التي ذكرها الله في محكم آياته بعد أن ذكر آية المطر ومعجزة إحياء الأرض بعد موتها وإخراج تلك الثمار والأزهار مختلفة الألوان والأشكال، ثم عرض إلى ذكر ألوان الجبال واختلاف تلك الألوان في جددها بين أحمر

وأبيض وأسود غِربيب، ولفت نظرنا إلى اختلاف الألوان في الناس والدواب وهي كل ما يدب على الأرض من مخلوق، والأنعام مختلف ألوانه كذلك، ثم ختم كل ذلك بقوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

ولا غرو؛ فقد كشف لهم علمهم من ملكوت السموات والأرض ما لم يصل غيرهم إلى معرفته، فيكتبوا في العارفين، وخافوا ربهم على قدر معرفتهم بملكوته، ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: ٧٥].

إذا أنت وصلت إلى هذه المنزلة أصبحت وليًا لله لا تخاف في القيامة ولا تحزن، ثم إذا أدخلك ربك ﷻ جنته فسوف يكون لك ولأهل المحبة والمعرفة والولاية نعيم من نوع خاص، وهو أن يعد الله لكم نزلاً أو ضيافة في رحاب جلاله، حتى إذا استقر بكم المقام كشف الحجب عن جلاله، فرأى الأحباب وجهه الكريم.. فوالله ما رأى أهل الجنة في نعيمها ما يقارب هذا النعيم حين ينظر العبد إلى وجه ربه الكريم، فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿**لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۞ سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾ [يس: ٥٧، ٥٨]، أي: يتمنون ويطلبون.

أذاقنا الله وإياكم أيها الإخوة حلاوة الإيمان، ورزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.

من أحاديث الآداب

فضل العلم

الدين الذي جاء به محمد ﷺ هو أحكامٌ وآدابٌ.. فالصلاة مثلاً لها أحكامها المبسوطة في كتب الفقه، ولها في الوقت نفسه آدابها كما وردت في آيات الذكر الحكيم وأحاديث النبي الكريم ﷺ، وقد ألف في الآداب الشرعية عدد من أشياخنا -رحمهم الله- منهم: أبو حامد الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام ابن القيم، وابن الجوزي، وابن مفلح، والمرداوي، وابن أبي عمر المقدسي، والحافظ ابن رجب، وابن قدامة المقدسي.

هذا إلى جانب ما ورد من الآداب في كتب السير وكتب السُّنن كمصنفات أبي داود السجستاني، وأبي يعلى، وابن عقيل، وأبي بكر الخلال، والطبراني.. فاجتمع من ذلك ما يشكِّل موسوعة في الآداب الإسلامية، وبعض هذه الكتب كبير مثل كتاب «الآداب

الشرعية» لابن مفلح الحنبلي؛ إذ هو في ثلاثة مجلدات، و«شرح منظومات الآداب» للسفاريني؛ إذ هي في مجلدين كبيرين، ومن كتب الآداب «منهاج القاصدين» لابن الجوزي، ومختصره لابن قدامة.

ولهذا رأيت بعد توفيق الله أن ألتقط من كتب الأشياخ ما يجدر بكلِّ مسلم أن يتحلى به من آداب الشريعة الغراء مما يحقق أهداف الإسلام، ويجمع للمؤمن شعب الإيمان.

وقد خصَّصت الحلقة الأولى من هذه الآداب للعلم؛ لأن العلم هو أساس الشريعة المحمدية، وحسبك أن أول كلمة من الفرقان نزل بها جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ هي قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ**﴾، وأن أول سورة نزلت من كتاب الله هي سورة «العلق» أو سورة «القلم»، وأن السورة الثانية كانت سورة «نون»، و«نون» معناها في السورة الدواة، وفي سورة «محمد ﷺ» آية تفيد أن العلم يكون قبل القول والعمل؛ لأن أيَّ قول أو عمل يصدر عن النفوس العالمة المستنيرة يكون بإذن الله حقًّا، ويكون مشرقًا متألقًا بأنوار الفطرة النقية والمواهب الجلية، يقول ربنا جل جلاله في سورة «محمد»: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ [محمد: ١٩].

وهذه طائفة من الأحاديث الكريمة في آداب العلماء وطلاب العلم وفضلهم عند العليم الخبير جل جلاله:

- روى الترمذي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه ذكر لرسول الله ﷺ رجلين: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم؛ إنَّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**».

وفي حديث آخر رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**».

- وفي صحيح مسلم: «**مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة**».

- وفي مسند أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه: «**إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ**».

- وفي سنن ابن ماجه: «**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلمٍ**».

- وفي الصحيحين عن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**».

- وفي سنن ابن ماجه: «**لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابًا من أبواب العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي مائة ركعة**».

- وفي سنن أبي داود وابن ماجه: «**مَنْ تعلَّم علمًا مما يبتغي به وجه الله -تعالى- لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**».

- وفي سنن ابن ماجه: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس إليه؛ فهو في النار**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار، قلت: «مَن هؤلاء يا جبريل؟» قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**».

- وفي صحيح البخاري: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَي فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

أولاً: أشرف ساعٍ في هذه الحياة طالب علم لا يطلبه إلا لوجه الله، ومجاهد يقدِّم روحه خالصة لوجهه تعالى، ولا غرو؛ فالعلم صفة من صفات الله العلا، ومن أسمائه الحسنى العليم وعالم الغيب والشهادة وعلام الغيوب، والعالم كالقمر بينما العابد كالنجم؛ لأن العالم يضيء ويهدي السارين بينما العابد تقتصر هدايته على نفسه، وفي تفسير قول النبي ﷺ: «**إنَّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم**» إشارة إلى تواضع الملائكة للعلماء، وتذكير بأن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام بعد أن علَّمه الله الأسماء كلها.

وأما ما أشار إليه رسول الله ﷺ من أن العالم يستغفر له أهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر، فقد ذهب الأشياخ في تفسيرهم لهذا الحديث الشريف بأن العلم إذا ساد هذا العالم؛ فإن الناس ببركة العلم سيعرفون ما يحل وما يحرم، ويوصون بالإحسان في كلِّ شيء، فإذا اصطادوا من البحر أو البر وإذا ذبحوا فعلوا كل ذلك في غاية الرفق والإحسان، ومن أجل ذلك ألهم الله تلك المخلوقات أن تستغفر للعالم.

ثانيًا: ومن أجل رفعة شأن العلم عند الله وجب أن تكون أخلاق العلماء وطالبو العلم على مستوى عظمة أسماء الله وصفاته، ومن أهم آداب العالم أو طالب العلم (أي: المتعلم) أن يطلبوا العلم لوجه الله، وليهدوا بعلمهم عباد الله، وألا يكتموا العلم أو يأخذوا عليه أجرًا، وألا يقصدوا بطلبه حبّ الظهور والمماراة والمجادلة، وأن يصرفوا أعظم جهدهم إلى تعليم الناس دينهم، وكل ما يحقق لهم خير المعاش والمعاد، وأول ذلك تحقيق التوحيد وعبادة الله ومسائل الدين والذِّكر، وإذا تعلَّموا الحساب والتكنولوجيا وعلوم الطبيعيات والصناعات والاختراعات تعلَّموها ليخدموا بها الإسلام والمسلمين، وأما تعلُّم ما يؤذي الناس كالسحر والفلسفة العقيمة التي تشطُّ بالعقل وتحيِّره فحرام.

ومن آداب العالم أن يتقي الله في تلاميذه ومريديه، وينصحهم ويخاطبهم على قدر عقولهم، وأن يسمو بعلمه عن التذلل للأغنياء وذوي الجاه، وأن يرسم القدوة الصالحة لتلاميذه بحيث تتمثل في أخلاقه، فيجعل أهم محبوب له الحسنات، ويدفع عن أخلاقه أهواء النفس وشهواتها المردية، ويجعل أفضل زاده تقوى الله، وإذا تحاسد الناس على حطام الدنيا جعل غبطته لأهل القرآن والصدقة والدين، وألا يتصاغر فيشغل نفسه بالعدوانية، وألا

تشغله الدنيا فيقصِّر في مطالب الدين، وألا يسرع إلى الفتوى دون تثبت، وأن يعلِّم الناس حكمة الأحكام الشرعية ليعبدوا الله على بصيرة، وأخيرًا وليس آخر أن يحذر المعاصي؛ لأنها تعصف بالعلم وتطفئ نور الفتوح.

تقدير العلم واحترام العلماء

من آداب المؤمن أن يكون ذا تعامل حضاري نبيل مع العلم وكل ما يتعلق به فتراه يجل العلماء ويحترم المتعلمين ويدعو لطلاب العلم بالفتوح والنجاح، إذا أردت أن تعرف نصيب امرئ من الذوق الحضاري فانظر إلى تعامله مع العلم وأهله، إذا رأيته يجالس العلماء ويحب الاستماع إلى علمهم، ويحرص على الإفادة منهم، ويعاملهم بمنتهى الأدب الرفيع؛ فاعلم أنه متحضر، وإذا رأيت منه صدودًا عن العلم وإعراضًا عن العلماء واستهزاءً بطلاب المعرفة؛ فاعلم أنه همجي بربري بعيد عن ذوق الحضارة ووضاءة الإيمان.

في المدارس اليوم نوعان من طلاب العلم: نوعٌ مُهذب الإصغاء، مُقدِّس لرسالة العلم والمعلم، حريص على صداقة الأستاذ وتقديره، ونوعٌ جاء إلى المدرسة ليلهو مع العابثين، ويعرقل رسالة المعلمين، ثم هو يدخل بالبذاء ثم يخرج به حتى إذا شبَّ وجد حصيلته جَهلاً أعمى، وصداقات موبقة، ولسانًا سليطًا، وسخريات بأهل الكمال، يقول الله -تعالى- في سورة «المطففين»: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾.

مثل هؤلاء لا تقبل عليهم فتوحات العلماء؛ لأن العلم نور الله في ملكوته، وصفة من صفاته، وقبس من أسمائه، وطريق إلى معرفته ورضائه وخشيته، يقول الله -تعالى- في سورة «فاطر»: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

لقد شاع في هذه الأيام استهانة بعض طلاب العلم ببعض المتعلمين واقتحام المعلم بالأبصار والخروج على رأيه وأمره وإيذائه في سيارته وفصله، حتى لقد رأينا حثالة من لا أخلاق لهم ربما بسط أحدهم يد الأذى والإهانة لأستاذه، والغريب أن يأتي ولي أمر الطالب

إلى المدرسة فيتهجم على الأستاذ ويتهمه بكاذب الأباطيل وظالم الأراجيف، وأحيل القارئ العزيز إلى ما تبثه وسائل الإعلام من صحف ومجلات عما يلقاه أهل العلم من أهل الجهالة والعماية.

والحق أن نفرًا من المعلمين ربما يستحقون تلك الاستهانة حين يرى الطلاب أنه جرى وراء المطامع، وأهمل نداء الضمير، واتبع هواه في تعامله مع التلاميذ؛ فلم يعاملهم بالسوية ولم يتعهدهم بالتربية الإسلامية، وقد كان من نتائج تلك المفارقات أن نشأ من التلاميذ من دأبه الإهمال والأذى والتجرد من ذوق الملازمة وأدب المعاملة، ورأى الناس في أوقات العطلات طلابًا كأنهم الوباء لا يرى الناس منهم إلا العدوان والتخريب وسيئ الفعلات، ولا يجرون على والديهم إلا الويلات.

إنَّ ديننا قد علَّمنا آدابًا إزاء العلم وأهله تسمو بها نفوسنا وأذواقنا وحضارتنا؛ لأن أسمى الحضارات ما يبنى على العلم.

وهذه بعض آداب تتعلق بموقف المؤمن إزاء كرامة العلم والعلماء:

١- يأمرنا القرآن الكريم أن نقدِّر العلماء ونفضلهم على سائر الناس حتى على العباد؛ لأن العابد لا ينفع إلا نفسه أما العالم فينفع الله به وعلمه كثيرًا من خلقه، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا**﴾ (أي: تفرَّقوا من المجلس ليتسع المكان للعلماء) ﴿**فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١]، وإنما أمرنا الله باحترام العلماء؛ لأنهم أشد الناس خشية لله، ولأنهم أعظم الناس معرفةً بجلاله، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، ويقول -جلَّ شأنه- في سورة «العنكبوت»: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ويقول النبي ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**»، وفي الأثر: «**إنَّ العلم لينزل بصاحبه في موضع الشرف والرفعة**»، وفي سنن ابن ماجه: «**لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابًا من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة**».

٢- أمرنا ديننا أن نتواضع لأشياخنا، قال رسول الله ﷺ: «**تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم**

السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلَّمون منه»، كما أمرنا أن نأخذ علمنا ممن جمع العلم والدين؛ ففي «صحيح مسلم»: «**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**»، وروى ابن مردويه أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس وخير من يمشي على الأرض المعلمون، وإذا قال المعلم للصبي: قُلْ: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لوالديه وبراء للمعلم من النار**»، وفي سنن ابن ماجه يقول رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت معلمًا**».

إنَّ العلم طريق الجنة، والعلماء هم الهداة إلى رحاب الله، والعلماء أمناء الله على خلقه، وهم ورثة الأنبياء، وفي سنن أبي داود: «**إنَّ من إجلال الله إكرام العلم والعلماء وذي الشيبة المسلم وإكرام حملة القرآن وإكرام السلطان العادل**»، وللديلمي: «**من غضَّ صوته عند العلماء كان يوم القيامة مع الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**».

٣- على طالب العلم أن يطلبه ابتغاء مرضاة الله، لا ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء، ولا ليصرف وجوه الناس إليه، فمن فعل ذلك فالنار النار، وعلى العالم وطالب العلم أن ينصحا للمسلمين ولا يكتما العلم، فإن من كتم علمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، وعلى علماء الدين أن يقرنوا علمهم بالأخلاق حتى يرسموا للناس سبيل الأسوة الحسنة، وعلى المسلم أن يوقِّر علماء الدين والفقهاء ليتعلم منهم أمور دينه، روى أبو حنيفة أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب**»، وفي الأثر أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم ارحم خلفائي الذين يحفظون سُنتي ويعلِّمونها الناس من بعدي**».. اللهم ارزقنا حب العلماء العاملين، واحشرنا معهم في عبادك الصالحين.

التأدُّب في طلب العلم

في هذه الأيام قد تسمع أن طالبًا غاضب معلمًا في فصل الدراسة لسبب من الأسباب؛ إما لأن المعلم لامه على إهماله أو لم يعطه درجة النجاح أو منعه بالقوة من العبث بالنظام أو أخبر أباه بأن ابنه كثير الحركة قليل البركة، وأن الغلام ثأرت ثائرته فاستعان ببعض أمثاله من المهملين، ولما خرج الأستاذ وجد زجاج سيارته مهشمًا، فحمد الله على بلائه الملطف وقضائه المخفف.. هذه الحادثة وأمثلها إيذان خطير بزوال العلم النافع من الصدور؛ لأن العلم نور

من نور الله، وصفة من صفاته العلا، ومن أجل ذلك فهو لا يقبل على أهل المعاصي ولا يتألق فتوحه إلا في القلوب الخاشعة والنوايا المخلصة.

إنَّ من أعظم آداب طلب العلم أن يتأدب في مجلس أستاذه ويخدمه لينهل من علمه، رُوي عن الإمام أحمد ﷺ أنه حضر مجلس خلف ليسمع منه حديثًا من أحاديث الرسول ﷺ كان قد التبس عليه، فحاول خلف أن يجلسه على الأريكة إلى جواره، فقال أحمد -رحمه الله- إنما حضرت هذه المرة لأتعلم، وقد أمرنا أن نتواضع لمن يعلِّمنا.

هذا، وليس عيبًا أن تتعلم من أستاذ صغير في السن مادام له فضل ومقدرة، فقد قرأ عبدالرحمن بن عوف ﷺ على ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو أصغر من أولاده، وقرأ حكيم بن حزام ﷺ على معاذ بن جبل ﷺ وهو فتى، فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟! قال: إنما أهلكنا التكبر.

ومن آداب المتعلم أن يخفض صوته عند معلمه؛ لأن رفع الصوت في العادة ينافي الوقار.. فكيف إذا كان بحضور الأستاذ؛ إنه عندئذٍ سوء أدب، قال ابن قتيبة: لو كان رفع الصوت شرفًا لما قرنه ربنا بصوت الحمير، قال الله -تعالى- في سورة «لقمان»: ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾، وفي سورة «الحجرات» يعلِّم الله ﷻ أصحاب نبيِّه ﷺ أن يغضوا أصواتهم في مجلس رسول الله ﷺ، وخصوصًا إذا كان يحدِّثهم علمًا ينفعهم في دينهم، يقول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾.

وقد روي عن الإمام أحمد أنه كان مستندًا على جدار، فذكر عنده اسم أحد أشياخه وهو «إبراهيم بن طهمان» فاعتدل جالسًا، وظهر عليه اهتمامه وقال: لا ينبغي إذا ذكر العلماء الصالحون أن نتكئ.

وقال الشافعي: إنَّ العلم لا يقبل على أهل التكبر وشموخ النفس، ولكنه يقبل على من يذلون أنفسهم لمعلميهم، روي أن أحمد -رحمه الله- كان جالسًا في المسجد الحرام عند الإمام الشافعي فجاءه أحد تلاميذه يقول له: إنَّ سفيان بن عيينة يحدث الناس في حلقة درسه، فقال أحمد: سفيان يُعوِّض درسه، أما أستاذنا الشافعي فإن درسه يفوت ويصعب عوده.

ولقد حدَّث ابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: توفى رسول الله ﷺ وأنا يافع (أي: صغير)، فلازمت كبار الصحابة أطلب حديثهم، فإن كان ليبلغني الحديث عند الرجل منهم فأتي بابه، وهو في قيلولته، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح عليَّ من التراب حتى يخرج فأسأله عن الحديث.

وجاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قرأ على أبي بن كعب سورة: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، وقال له: «**الله أمرني أن أقرأها عليك**»، وإنما قالها رسول الله ﷺ لأبي ليعلم الناس احترام قارئ القرآن، ولينبِّه الناس إلى فضيلة المعلم عند الله.

ولقد بلغ من تواضع أصحاب رسول الله ﷺ في طلب العلم أنهم كانوا يحضرون حلقات بعض التابعين وينصتون إلى حديثهم، حتى لقد شوهد البراء بن عازب ﷺ وهو يحضر درس التابعي الجليل عبد الرحمن بن أبي ليلى وينصت بين يديه.

ومن آداب طالب العلم أن يتحمل بوادر أستاذه إذا قال (بمعنى افترى) عليه فلا يغضب أو يغاضب فتفوته فرصة التعليم في شبابه، قال أحد الشعراء:

كتاب قد يمتعني نهاري ... أحب إليَّ من أنس الصديق
ولطمة عالمٍ في الخد عندي ... أحب إليَّ من شرب الرحيق

لقد كان طلاب العلم يدعون لأشياخهم في صلاتهم، فإذا ختموا دعاءهم قالوا: اللهم اغفر لوالدينا ولأشياخنا، ولهذا كان يبدو عليهم فتوح العارفين، وكنت ترى أحدهم يحضر حلقة شيخه وقتًا قصيرًا فتراه بعد ذلك يتصدر للتدريس في غياب أستاذه، وترى طالب العلم متواضعًا لأستاذه حتى لقد تسابق الأمين والمأمون إلى حذاء الكسائي كل منهما يريد أن ينقله لشيخه، وأخيرًا اصطلحا على أن يقدِّم كل واحد منهما واحدة، وتصالحا على ذلك.

على أنه لا يفوتنا أن ننبِّه أن مهنة المعلمين هي مهنة الأنبياء ومن ثم فعلى أهل العلم أن يربئوا بعلمهم عن طمع الدنيا، ويزينوه بالكلام الطيب والعمل الصالح والقدوة الحسنة والابتعاد عن الريب والشبهات، فما يجوز لمعلم مثلاً أن يدخِّن في حضور تلاميذه أو يتطلع لهداياهم وهباتهم، فإن ذلك يسقط مروءته في أعينهم.

وما أجمل ما قال القاضي الجرجاني -رحمه الله- في صيانة العلم:

إذا قيل هذا مورِدٌ قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

ولما ذكرت شعر الجرجاني في سلوك المعلم إزاء علمه ألقي على مسامع الطلاب هذه الأبيات في فضل المعلم الذي يحترف أشرف المهن ويظمأ لينهل الناس معين الحياة.

تلقاه طول العلم يغرس جوهرًا ... ومرارة الحرمان كل حصاده
ظمآن تورده الحياة سرابها ... والجيل كل الجيل من وراده
ولقد يجوع فلا ينال كفافه ... وملوك هذي الأرض من قصاده
قالوا عن التعليم حرفة مفلس ... قعدت به النكسات عن أنداده
ونسوا بأن الله علَّم آدما ... جلَّ الإله معلمًا لعباده
والأنبياء معلمون تراثهم ... علم شفى الإنسان من إلحاده

الحثُّ على طلب العلم النافع

من أدب المؤمن ألا يرضى بالجهالة أبدًا وخصوصًا بالجهالة في دينه، فتراه أبدًا يحرص على أن يتزود بالحكمة يجعلها ضالته، وبالفقه يحفظ به دينه ويعبد به ربه على بصيرة، ولقد طلب الله من النبي والمؤمنين أن يؤسسوا عبادتهم على العلم؛ لأن من عبد الله على جهل فكأنما عصاه، يقول الله -تعالى- في سورة «محمد»: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾، فبدأ أولاً بالعلم ثم ثنى بالقول والعمل.

وإنه مما يحزُّ في النفس أن ترى عددًا كبيرًا من المسلمين من أهل الثقافة العالية تسأله عن أدق المعلومات حول الفن في ديار الأجانب وعن المذاهب الفكرية المعاصرة وعن أدباء الغرب والشرق، فتجده بحرًا في تلك الثقافات!! ثم تسأله سؤالاً عن مبادئ دينه وأصول عبادته، فتراه فيها جاهلاً مطبق الجهالة!! مع أن رسولنا ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه**

في الدين» (رواه البخاري).

ولرب متفقه في دينه تكون عبادته معتدلة أو قليلة لكنها تكون عند الله أعظم أمرًا من عبادة جاهل مجتهد في العبادة، وذلك لأن العالم يعبد ربه على بصيرة ونور، وأما الجاهل فقد تقترن عبادته بجهل يبطلها ويحبط جهدها واجتهادها، وإلى هذا يشير رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري؛ إذ يقول: «قليل من الفقه خير من كثير العمل، والعالم عند الله أفضل من العابد العاكف على العبادة، وذلك لأن العالم يضيء لنفسه وللناس كالقمر المنير، أما الجاهل فكالنجم يضيء لنفسه فقط»، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم**».

والمؤمن يحرص حين يؤتيه الله علمًا أن يصونه أولاً عن أطماع الدنيا؛ لأنها عندئذٍ ترخصه وتهدر كرامته، وأن يبلِّغه ثانيًا ولا يكتمه، وأخيرًا أن يجنِّده دومًا للحقِّ والخير والفضائل، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الفقهاء أمناء الرُّسل ما لم يدخلوا في الدنيا**»، أي: ينزلوا إلى المطامع فتجرفهم في تيارات الجهلة والغوغاء.

وقد كان أشياخنا من العلماء ربما ضحَّوا بوظائفهم ومصادر أرزاقهم في سبيل مواقف الرجولة والإيمان تلك التي كانت عقيدتهم، فتراهم واثقين برزق الله وعافيته وستره مهما تجسَّم الخطر وعظم البلاء، روى أبو حنيفة -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب**».

ثم إن العالم المسلم تظهر جهوده في الأوقات التي تشيع فيها البدع وتنتشر المعاصي هنالك تعظم مسئوليته والويل له إذا خبَّأ علمه جبنًا أو خوفًا من الناس، جاء في مسند الربيع أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ظهرت البدع في أمتي، فعلى العالم أن يظهر علمه؛ فإنْ لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل**».

إنَّ المؤمن يطلب العلم ويكدح في تحصيله لكي ينير له طريق الجنة، فالعلم نور من الله، وصفة عالية من صفات العلا، ولهذا تجد المؤمن بطلب العلم يبتغي به إلى الله الوسيلة، ويتخذه قربة إليه الله يحميه به من كلِّ شر، يقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذي وابن ماجه: «**من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله؛ فليتبوأ مقعده من النار**».

إنَّ الذي يقعد عن طلب العلم دون عذر يشك في إسلامه، وذلك لأن العلم يوصل إلى الإيمان، وفي هذا يقول الله -تعالى- في العلاقة بين العلم والإيمان.. في سورة «العنكبوت»: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾، ويقول في نفس هذا المعنى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

والعلم النافع الذي يبقي الله نوره في المجتمع الإسلامي ينفع الله به صاحبه حتى بعد موته، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ابن صالح يدعو له**».

والمؤمن حين يكرمه الله بالعلم يعرف أنه أصبح قدوة، فيحرص جهده ألا يرى الناس منه إلا أجمل سمت وأحلى طريقة، فيصون نفسه عما لا يليق بكرامة العالم، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»، ويقول: «**ويل لأمتي من علماء السوء**».

وبعد؛ فالمؤمن يربأ بنفسه عن أن يتخلف عن مواكب النور ومجالس العلم ولا يرضى لهمته أن يصحب أهل السفالة واللهو وسقوط المروءة، ولا يرضى لنفسه أن يعيش محدود الإيمان، بل يتخذ من العلم طريقًا يرى فيه آيات الله وملكوت السموات والأرض، وعندئذٍ يجعله الله من أهل اليقين، كما قال في خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: ٧٥].

وكما قال الشاعر:

بِالعِلمِ وَالمالِ يَبني الناسُ مُلكَهُمُ ... لَم يُبنَ مُلكٌ عَلى جَهلٍ وَإِقلالِ

فضل العالم العامل

إذا كان العفاف والترفع عن طمع الدنيا لازمين لكلِّ مسلم فهما للعلماء ألزم، وذلك لأن العالم نصب نفسه في مقام القدوة، وأعلن أنه يصدر في عمله من منطلق الكتاب والسُّنة، فيا ويله إنْ أجار الدليل عن الطريقة وأضل المقتدى عن الحقيقة، لوددت لو أن كل عالم حفظ هذه الأبيات المضيئة، وهي للقاضي علي بن عبد العزيز الجرحاني يرسم فيها ما يجب أن يكون عليه العالم المسلم من وضاءة السمت وطهارة المذهب وعفاف الضمير وسمو النفس:

يقولـــون لي فيـــك انقبـــاض وإنـــما ... رأوا رجـلاً عـن موقـف الـذل أحجـما
أرى النـاس مـن دانـاهم هـان عنـدهم ... ومـــن أكرمتـــه عـــزة الـــنفس أكرمـــا
إذا قيـل هـذا مـورد قلـت قـد أرى ... ولكـــن نفـــس الحـــر تحتمـــل الظـــما
أنزههـا عـن بعـض مـا لا يشـينها ... مخافـة أقـوال العـدا فـيم؟ أو لمـا؟
وأكـــرم نـــفسي أن أجامـــل ظالمًـــا ... وأن أتلقـــى بالمـــديح مـــذمما
ولم أقـض حـق العلـم إن كـان كلـما ... بـــدا طمـــع صـــيرته لي ســـلما
ولـو أن أهـل العلـم صـانوه صـانهم ... ولا عظمـــوه في النفـــوس لعظـــما
ولكـــن أهـــانوه فهـــانوا ودنســـوا ... محيـــاه بـــالأطماع حتـــى تجهـــما

إذا كان ربنا ﷻ قد أحل المؤمن العالم منزلة أعلى من منازل الملائكة، فلماذا ينحدر بالمطامع الرخيصة إلى دركات الحيوان، وإذا كان ربنا ﷻ أسجد سكان السماء لآدم العالم، فلماذا يمرغ بعض طلاب العلم وجه علمهم تحت سنابك الشياطين؟!

إذا كان العلماء هم مصابيح الدنيا وهداة ركب الحياة، فلماذا تنحدر بهم المطامع الرخيصة إلى دركات الأنعام؟!

ألا ما أجمل العالم حين لا تأخذه في مرضاة الله لومة لائم، فيضيء أنوار الحق في جنح ظلمات الباطل!!

ما أجمل العالم تُعرض عليه الدنيا مفاتنها وتمنيه بهرجها ومطامعها، فيقول لها ما قال أمير المؤمنين علي ﷺ: يا دنيا إليك عني غري غيري باينتك ثلاثًا لا رجعة بعدها، ثم يبكي متململاً وهو يقول: آه من وحشة الطريق، وقلة الزاد، وطول السفر.

العالم أفضل من العابد حتى ولو كان العابد باكيًا في محرابه، وكان العالم مؤتنسًا بجلسة أصحابه ذلك؛ لأن العابد يضيء لنفسه، وأما العالم فبدر يهتدي به كل سارٍ في الظلام.

- روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

- وللترمذي أيضًا ورواه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

- وفي الصحيحين أن عبد الله بن مسعود ﷺ طلب منه بعض الصحابة أن يعظهم كل يوم فقال: إني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا.

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله**».

- وللترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**من طلب العلم ليجاري العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**».

وله أيضًا: «يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين: ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله -تعالى: «**أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ، فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا**».

- وفي المعجم الكبير للطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الذي يعلِّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء ويحرق نفسه**».

- وللقزويني أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أناسًا من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرءون القرآن ويقولون: نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلا الآثام**».

أولاً: العالم أشرف وأفضل وأعلى عند الله منزلة من العابد؛ لأن العابد لا يفيد بعبادته إلا نفسه، أما العالم فيهدي به الله ركب الإنسانية، وتراه كالمصباح يحترق ليهدي بسناه الضاربين في الظلام، ومن ثم شبَّه النبي ﷺ العباد بالنجوم التي لا تضيء إلا بمقدار ما تظهر، بينما شبَّه العلماء بالبدور؛ لأنهم يملئون الدنيا أنوار هداية ومشاعل إيمان وتقوى.

ثانيًا: إذا كثر العلماء العاملون في أمة ارتكست دولة الشياطين؛ لأن رسالة العالم هي أن يبدد بعلمه وأخلاقه كيد الشياطين وإغراءهم، ولهذا كان عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

ثالثًا: أعظم علم يفيد المرء في معاشه ومعاده هو فقه الدين، فمن يرد الله به خيرًا يفقهه

في الدين، على أن كل علم يطلبه صاحبه ليخدم به الإسلام هو أيضًا علم مبارك، ومن ثم فمن نبغ مثلاً في الكيمياء الحيوية أو الهندسة الصناعية أو علوم الفضاء، وكانت نيته خدمة الإسلام فهو أيضًا عالم عامل مبارك.

رابعًا: على الداعية أن يكون مربيًّا وداعيًّا معًا، فلا يثقل على الناس بطول خطبه ووعظه، وعليه أن يحدِّثهم عما يهمهم، لا أن تكون مشكلات مجتمعهم في الشرق ويكون وعظه في الغرب، ففي أيامنا هذه مثلاً ونحن نعاني من الضياع والشتات والتمزق والمنازعات والهزائم الأخلاقية وتحطم القوة الإسلامية على صخرة الانقسامات.. ما يجوز للعالم أن يخصص خطبه كاملة أو يخصص وعظه حول ثوب إلى منتصف الساق أو صورة فوتوغرافية على هوية تعريف، بل لا بدَّ من تركيز معظم الجهد على تحقيق كلمة التوحيد وتحقيق توحيد الكلمة والاعتصام المتكاتف حول كتاب الله وسُنة نبيه.

خامسًا: على العالم أن ينوي بطلبه العلم هجرة إلى الله وخدمة لدينه وشريعته لا أن يطلب العلم ليقال: عالم، ولا يطلبه للجدل العقيم والوجاهة المصطنعة والمظاهر الزائفة.

سادسًا: أخطر ما يحدق بعلم العالم أن يطلبه الدنيا، فتراه ملقي على أعتاب الأغنياء يضحكهم بعلمه لينال من فتات الموائد وفضلات المال.. إنَّ مثل هذا العالم يقال له: عالم سوء؛ لأنه يقوم في مقام القدوة فيضل الله به كثيرًا.

سابعًا: إذا علم العالم حكمًا، فإنه أولى الناس أن يطبق عليه هو العالم نفسه ليقتدى بقوله وبفعله، أما أن يأمر الناس بالقسط وينسى نفسه وأهل بيته، فذلك دليل على قلة عقله وسوء رأيه وتعرضه لسخط الله الذي صبَّه على علماء بني إسرائيل يوم اشتروا بعلمهم العرض الفاني، ولم يطبقوا العلم على أنفسهم؛ فخاطبهم ربنا بهذا الاستفهام البلاغي الفاضح المخجل: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾.

***